15em Année No. 728

Lundi — 12 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٢ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

لوازم الحـــديث

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الحديث عن آقاك الأرمنى الذى قيل إنه طبيب روحانى يشفى الأمراض المستعصية ويلمس المريض مرة أو مرتين فينهض سليما معافى .

وكان المتحدث رجلا يصدق من الغرائب والمفارقات بمقدار ما فيها من مفاجأة الناس ومصادمتهم بالمستبعد المستغرب من الأمور ... له فى الحديث لازمة هى كلمة « لا » النافية . يقولها عشرين أو ثلاثين مرة فى الجلسة الواحدة ، ويقولها لمن يوافقه ومن يعارضه ، ولمن يقبل كلامه على علاته ومن يرفضه « على طول الخط » كما يقولون . ويخيل إليك وأنت تستمع إلى حديثه أنه يفضل إنكارك كلامه على موافقتك وتأمينك . لأن الإنكار يفتح له باب الجدل والاستمتاع بتلك الكلمة المحبوبة لديه ، البغيضة إلى الناس أجمعين ، وهى كلمة « لا » النافية ومرادفاتها فى اللغة العربية .

قال : إن آقاك شفى مشلولا كسيحا لاينهض على قدميه .

قالها والتفت إلىّ متوقعاً أن أنكر منه هذا الخبر ، وأجزم باستحالته أو استبعاده .

فخيبت ظنه وقلت : يحصل . نعم يحصل وقد حصل فى الزمن القديم وفى هذا الزمن . وقد حصل على أيدى الأطباء الذين لا يتحلون لأنفسهم قدرة روحانية ولا كرامة من كرامات الأولياء . وحصل فى عهد العباسيين قبل هذا العهد الحاضر الذى عرف الناس فيه علم العلاج النفسانى وسلكوه فى عداد العلوم الطبيعية . وذكرت قصة الجارية التى كان الرشيد يحبها فرفعت يدها ذات يوم فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، وعولجت بالتمريخ والدهن فلم ترجع يدها إلى حركتها . فلما استدعى ابن بختيشوع لعلاجها قال للرشيد : إن لم يسخط علىّ أمير المؤمنين فلها عندى حيلة : تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده فأمر الرشيد بالجارية فأحضرت ، وأسرع إليها الطبيب وأوثق يدها الطليقة وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها . فازعجت الجارية وبسطت يدها المعتقلة إلى أسفل . وكان ذلك شفاءها .

هذا وأشباهه جائز فى الطب مشاهد فى الواقع ، والمعول فيه على استفزاز القوى الحيوانية من طريق المؤثرات النفسانية . فإذا كان آقاك يملك القدرة على استفزاز هذه القوى فى نفوس معتقديه فلا مانع عقلا أن يشفى بعض الأمراض بهذا النحو من العلاج .

وليس المهم فى مقالنا هذا هو حديث آقاك الأرمنى وإن كان حديثه ليجرى الآن على كل لسان . وإنما المهم « لا النافية » على لسان صاحبنا الذى آمن بآقاك ليقولها ويسمعها من سامعيه ! .. فقد ظننت أننى أخذت عليه الطريق وانتزعت هذه الكلمة من بين شدقيه . فإذا هى والله أول كلمة علق بها على هذه

القصة ، وإذا به يفتح فاه ليقول : لا . ليس هذا قصدى ...

قلت : لا بل ينبغى أن يكون هذا قصدك . ماذا تعنى أيها الرجل « بلا » هذه التى تفجأ بها الناس موافقين أو مخالفين ؟ قلت إن آفاك يشفى المرضى فقلنا لك : يحصل . فأين موضع « لا » هنا لا حرمك الله سماعها من كل لسان ؟

فانقبض واستخزى . وكانت عنده بقية أدب فى الخطاب فقال معتذراً : والله إنها لازمة . ولازمة ذميمة والحق يقال . ولكن ما العمل فى العادة وسيئاتها قبحها الله !

وخطرت لى لوازم الكلام عند أكثر المتحدثين ؛ فسألت نفسى : أيها يارى خير وأفضل . « لا » هذه التى تقال فى كل جواب ؟ أو « نعم » ومرادفاتها التى تعود بعض الناس أن يعقبوا بها على النقيضين فى مجلس واحد ؟

— حبذا لو خلت مصر من الأحزاب .

— صحيح .

— ولكن الأحزاب ضرورية فى الأمم الديمقراطية .

— صحيح والله !

— إلا أن الديمقراطية قد تستغنى عنها فى بعض أوقات التطور والانتقال .

— معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى أمثال هذا التعقيب فى كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءهم هذه الموافقات وهم ينتظرون الشجاعة الأدبية من ذوى الرأى فلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟

إن كانت هناك « نعم » شر من « لا » فهذه النعم شر من جميع اللاءات وجميع أدوات النفى على الإطلاق .

ومن اللوازم ما هو أعجب من الموافقة والإنكار على هذا النوال ؛ لأنها لازمة تلقى على المستمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هى لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يحدثك عن رجل لا تعرفه ولعلك لم تذكره قط فى حياتك ، فإذا به يقول : « على رأيك إنه رجل لئيم » ... ويمضى فى تحميل رأيك المظلوم تبعات هجائه وإتحافه وأنت لم تر شيئا مما اتهمك برؤيته ، ولم يفكر هو بعقله فى إسناد التهمة إليك وإنما جرت التهمة « البريئة » على لسانه من حيث لا يريد .

وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين اتجه إليهم الحديث مستغيثاً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات أوهل هو رأيك أو رأيى الذى تحكيه وترويه ؟

وضحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بأدب الحديث أن أقول : هذا رأيى ! هذا رأيى ! فى كل ما أرويه وأحكيه ؟

ومن اللوازم ما يبعث الضحك ولا يبعث الفزع كهذه اللازمة التى يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك الحزين إذا غلبت عنده روح الفكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لأحد القضاة المشهورين يرددها وهو ذاهل عما يسمع وذاهل عما يعنيه . وهى لازمة « براڤو براڤو » التى يتخلص بها من التفكير فيما يقول .

واتى شاباً كان يعرف أباه فسأله : أين أنت الآن ؟ قال : موظف فى هذا الديوان ...

قال : براڤو براڤو . وأين أبوك ؟

قال : تعيش ... مات منذ شهور .

فلم يلبث أن حيا أباه تحية الاستحسان المعهودة . لأنه مات !

لكن اللازمة البغيضة حقاً تلك اللازمة التى تضطرك إلى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كأنك فى محضر تحقيق

— أخذت بالك ؟ « فاهمنى ؟ » .

ولا بد من الجواب ، ولا بد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يغنى عنه الإيماء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدى لك الرأى ثم يسألك :

هل أنا غلطان ؟

فتقول مثلا : معاذ الله . بل أنت على صواب .

فلا يكتفى بذلك ويعود سائلا : إن كنت غلطان قل لى . هل أنا غلطان بالله ؟

— لا لست بغلطان .

من معجزات القـــــرآن

تفسير الآيات الأولى من سورة الروم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

لم ينزل القرآن للأخبار بانتصار الروم فقط ، بل للأخبار بأن الأمر كله لله وأنه سينصر المسلمين على ضعفهم وقلتهم في بضع سنين كما ينصر الروم . فتبشير المؤمنين بنصر الله لم يأت في الآية تبعاً كما يوحي كلام المفسرين بل كان الأخبار بانتصار الروم تمهيداً للتبشير بنصر الله المؤمنين . والاخبار بغلبة الروم وحده فيه معجزة واضحة، وبيان لصدق النبوة ولكنه مع هذا لم يكن القصد الأول من نزول الآية الكريمة .

وينبغي أن نذكر هنا أنه حينما تمت الغلبة للروم وذهب هرقل إلى بيت المقدس في أعقاب ظفر توالى من القسطنطينية إلى بيت المقدس في ذلك الحين ذهب جيش إسلامي صغير إلى البلقاء — التي تسمى اليوم شرق الأردن — فحارب جيشاً من الروم والعرب؛ وتلك الوقعة المعروفة في التاريخ الإسلامي باسم غزوة مؤتة . وقعت في السنة الثامنة من الهجرة ، وهذه الغزوة التي لم يبال بها هرقل ولعله لم يسمع بها كانت فاتحة الغزوات الإسلامية التي نزعت الشام من سلطان هرقل وجعلته يقول وقد يئس من الشام : سلام يا سورية سلاماً لا لقاء بعده . ولم يكن بين تمام الظفر لهرقل وبين تمام الهزيمة عليه في الشام وتسلط المسلمين عليها إلا بضع سنين ، فبين غزوة مؤتة وبين واقعة اليرموك ست سنوات من السنة الثامنة بعد الهجرة إلى السنة الرابعة عشرة .

لله الأمر من قبل غلبة الفرس على الروم ومن بعدها بل له الأمر قبل كل شيء وبعده لا شريك له في سلطانه . وبأمره غلب الفرس على الروم عشرين عاماً ولاء ، ثم أديل للروم في بضع سنين ثم أديل للمسلمين على الروم في بضع سنين أخرى .

— لا لا . إن كنت غلطان فقل لي ولا تخف الحقيقة عني . إنني رجل صريح . أليس هذا الواجب ؟

ويكررها : أليس هذا الواجب ؟ أليس هذا الواجب ؟ حتى تفض المشكلة بقسم غليظ ... فيصدق أنك قد آمنت بأنه ليس « بغلطان » .

وقد تكون اللازمة التي من هذا القبيل عقلية تأتي من نقص الوعي والإدراك ولا يقف بها الأمر عند حب التكرار والإعادة مع فهم الحديث المعاد .

تسأل أحدهم : هل لقيت فلاناً ؟

فإذا هو قد أعد كلمة الاستفهام في منتصف السؤال وبادرك مستفهماً : نعم ؟

— هل لقيت فلاناً ؟

— فلاناً ؟

— أي نعم فلان !

— ماله ؟ أو ما باله ؟ أو علام تسأل عنه .

ولا بد أنك تسأله عن لقائه إلا بعد السؤال الثالث أو الرابع على هذا المنوال . وهي عادة غالبة على الطبقة الجاهلة في بلاد الريف على الخصوص مرجعها بطء الحركة الذهنية وإهمال الكلام واعتباره لغواً لا يرتبط بالتفكير ولا يحمل معناه إلا مع التوكيد والترديد.

وبعض هذه اللوازم لازم في الحديث المفيد ، لأنه يعينك على تتبع الحديث والوقوف على مراحله وغاياته . كلازمة « نهايته » في موضعها الصحيح ، أو لازمة « على كل حال » أو « لا تؤاخذني » إذا كانت تهيء الذهن حقاً لسماع شيء يحتاج إلى الاستئذان أو طلب السماح . فهذه اللوازم في المحادثات أشبه بعناوين الفصول والأبواب في الكتب والمخطوطات . ولكنها قد تتوالى وتتكرر حتى تفقد معناها ولا تتعدى أن تكون حشواً بغير دلالة ... ومن قبيل ذلك فنان قدير في فنه تلازمه كلمة « ثانياً » حين يقيم الأدلة على صحة فكرة أو مذهب من المذاهب الفنية. فإذا « ثانياً » هي أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً إلى آخر العشرة ، أو تزيد !

وكفى بمراقبة هذه اللوازم أنك تستمد منها سبباً للاصغاء إلى الأحاديث سواء منها ما استحق الإصغاء وما استحق الإعراض ... لأنك تسمع على الأقل « لوازم » تصلح للتفكهة وتصلح للدلالة على الفوارق بين « الشخصيات » والفوارق بين أساليب الألسنة وحركات العقول .

عباس محمود العقاد

على أن الله الذى له الأمر قد وضع للبشر سنناً للنصر والهزيمة من سار على سنن النصر انتصر ومن أخذ بسنن الهزيمة هزم . ليس الأمر متروكا للفوضى أو الاتفاق .

ويومئذ يفرح المؤمنون — إلى — لا يعلمون .

فى هذه الآية إخبار بأن المؤمنين سيفرحون بنصر الله حينما يغلب الروم الفرس . فهل نصر الله الذى يفرح به المؤمنون هو انتصار الروم . هذا بعيد ، وما للمؤمنين يفرحون بانتصار الروم وهم عدو لهم كـاثر أمم الأرض التى كرهت هذا النور الجديد حفاظاً على تراثها من أديان وأباطيل ، ثم فى الآية : وعد الله لا يخلف الله وعده . فهل هو وعد الله المسلمين أن ينتصر الروم . لا . بعيد كل البعد أن يقال إن المسلمين يفرحون بانتصار الروم وقد وعد الله المسلمين ، انتصار الروم ، إنما الوعد لمن يعود إليه الخير من الواعد ، ولم يكن للمسلمين فى انتصار الروم خير .

بين جداً أن الآية تبشر المؤمنين بنصر قد وعدوه ، وأنهم سيفرحون بهذا النصر فى السنة أو السنين التى يغلب فيها الروم فما هذا النصر ؟

رجعت من قبل أن هزيمة الروم التى اهتم بها العرب فنزلت هذه الآيات وقعت حوالى سنة ٦١٥ ، فالنصر الذى يفرح به المسلمون حين يغلب الروم فى بضع سنين من هذه الهزيمة ، هو انتصارهم يوم بدر ، وكانت وقعة بدر فى السنة الثانية فى الهجرة أى سنة ٦٢٤ من الميلاد وبين ٦١٥ ، ٦٢٤ بضع سنين .

وقد روى أن خبر انتصار الروم بلغ المسلمين وهم فى غزوة الحديبية ، وكانت الغزوة سنة ست من الهجرة ، وهذه الرواية مردودة بدليلين :

الأول أن بين الحديبية وبين هزيمة الروم فى الشام أكثر من اثنى عشر عاماً ولا يقال لهذه المدة بضع سنين .

والثانى أن الحديبية لم تكن نصراً فرح به المسلمون بل كانت صلحاً رأى فيه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه خيراً للاسلام وكانت عاقبته خيراً ، ولكن المسلمين حزنوا له حينما وقع ورأوا فيه ذلا لهم إذ رجعوا عن مكة وقد خرجوا لدخولها والاعتمار بها.

على أن انتصار المسلمين ، وظهور الإسلام قد بدأ بالهجرة وتوالى انتشار الإسلام ، وانتصار المسلمين فى الوقائع من بعد . فجائز ألا تخص النصر الذى يفرح به المسلمون بوقعة واحدة أو حادثة معينة، بل نقول قد وافق انتصار الروم أول عهد ظفر فيه المسلمون وعز دينهم وأول انتصار للروم وقع سنة الهجرة سنة ٦٢٢ م كما أسلفت .

تضمنت الآيات خبرين عن المستقبل صادقين ، انتصار الروم وانتصار المسلمين ، وتضمنت كذلك أنهما يقعان فى وقت واحد .

« ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » ولكن مشيئته جرت على أن ينصر من يأخذ بوسائل النصر ، وفى القرآن الكريم : « ولينصرن الله من ينصره » . « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ، « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

فنصر الله لا يؤتاه من أساء عملا ، أو قعد عن التوسل إلى النصر بوسائله ، أو أخذ بأسباب الهزيمة ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا .

« وعد الله لا يخلف الله وعده » .

هذا هو الوعد الذى فى قوله : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وهو مطابق لوعد الله العام وسنته الدائمة أن ينصر المؤمنين ويؤيد المجاهدين ، ويمكن الصالحين ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات — إلى — فأولئك هم الفاسقون » . « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . « الذين إن مكناهم فى الأرض — إلى عاقبة الأمور » .

فلا يقعد أحد ويرجو ثواب الساعين ، ولا يفرط وينتظر جزاء المجدين ، ولا يقصر ويبغ أجر المجاهدين ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى — إلى — الأوفى .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون — إلى — غافلون » .

أكثر الناس لا يعلمون سنن الله فى خلقه ، ونصره المؤمنين وتمكينه الصالحين وهم غافلون عن القوانين الإلهية ، والسنن التى يسير الخالق عليها عباده . وما قدره لأهل الخير وأهل الشر ، وأنصار الحق ، وأنصار الباطل . غافلون عن أن لله وعداً وأن وعده لا يخلف وسنته لا تبدل . عليها سارت الأمم ، وتعاقبت الدول ، وتقلبت الأمم ، وتغيرت الجماعات ، ولم تتبدل أو تتحول. أكثر الناس فى غفلة عن هذا . « لم يتفكروا فيها ولم يتعمقوا النظر وأخذوا الأمور بالظن ، وقاسوها بالوهم ، « وإن تطع أكثر

من أحاديث الإذاعة :

الســـــعادة ...*

للأستاذ علي الطنطاوي

كنت أقرأ في ترجمة (كانت) الفيلسوف الألماني الأشهر ، أنه كان لجاره ديك ، قد وضعه على السطح قبالة مكتبه ، فكلما عمد إلى شغله صاح الديك، فأزعجه عن عمله ، وقطع عليه فكره . فلما ضاق به بعث خادمه ليشتريه ويذبحه ويطعمه من لحمه ، ودعا إلى ذلك صديقاً له ، وقعدا ينتظران الغداء ، ويحدثه عن هذا الديك ، وما كان يلقى منه من ازعاج ، وما وجد بعده من لذة وراحة ، ففكر في أمان ، واشتغل في هدوء ، فلم يقلقه صوته ، ولم يزعجه صياحه ...

... ودخل الخادم بالطعام وقال معتذراً ، إن الجار أبى أن يبيع ديكه ، فاشترى غيره من السوق ، فانتبه (كانت) فإذا الديك لا يزال يصيح !

* * *

فكرت في هذا الفيلسوف العظيم فرأيته قد شقي بهذا الديك لأنه كان يصيح ، وسعد به وهو لا يزال يصيح ، ما تبدل الواقع ما تبدل إلا نفسه ، فنفسه هي التي أشقته لا الديك ، ونفسه هي التي أسعدته ، وقلت : مادامت السعادة في أيدينا فلماذا نطلبها من غيرنا ؟ ومادامت قريبة منا فلماذا نبعدها عنا ، إذ نمشي إليها من غير طريقها ونلجها من غير بابها ؟ إننا نريد أن نذبح (الديك) لنستريح من صوته ، ولو ذبحناه لوجدنا في مكانه مائة ديك ، لأن الأرض مملوءة بالديكة ، فلماذا لا نرفع الديكة من رؤوسنا إذا لم يمكن أن نرفعها من الأرض ؟ لماذا لا نسدّ آذاننا عنها إذا لم نقدر أن نسدّ أفواهها عنا ؟ لماذا لا نجعل أهواءنا وفق ما في الوجود إذا لم نستطع أن نجعل كل ما في الوجود وفق أهوائنا ؟

أنام في داري فلا توقظني عربات الشارع وهي تزلزل بسيرها الأرض ، ولا أصوات الباعة وهي ترعد في الجو ، ولا أبواق السيارات وهي تسمع الموتى ، وتوقظني همسة في جو الدار ضعيفة ، وخطوة على ثراها خفيفة . فإن نمت في الفندق لم يوقظني شيء وراء باب غرفتي . فإن كان نوى في القطار لم يزعجني عن منامي حديث جيراني إلى جنبي ، ولا صوت القطار وهو يهتز بي . فكيف احتملت هنا ما لم أكن أحتمله هناك ؟ وآلمني هناك ما لم يؤلمني هنا ؟

ذلك لأن الحس كالنور، إن أطلقته أضاء لك ما حولك فرأيت ما تحب وما تكره ، وإن حجبته حجب الأشياء عنك ، فانت لا تسمع أصوات الشارع مع أنها أشد وأقوى، وتسمع همس الدار وهو أضعف وأخفت، لأنك وجهت إلى هذا حسّك، وأدخلته نفسك فسمعته على خفوته كما ترى في الضياء صغائر الأشياء ، وأغفلت ذاك وأخرجته من نفسك ، فلم تسمعه على شدته ، وخفي عنك كما تختفي في الظلام عظائم الموجودات . فلماذا لا تصرف حسك عن كل مكروه ؟ إنه ليس كل ألم يدخل قلبك . ولكن ما أدخلته أنت برضاك ، وقبلته باختيارك ، كما يدخل الملك العدوّ قلعته بثغرة يتركها في سورها . فلماذا لا نقوي نفوسنا حتى نتخذ منها سوراً دون الآلام ؟

أيها السادة المستمعون :

إني أسمعكم تهامسون . تقولون : « فلسفة وأوهام ». نعم ،

(*) حديث كتب لمحطة الشرق الأدنى ، فسجلته في مصر وأذاعته من بافا يوى (٧) و (٨) مايو ١٩٤٧ .

من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

« إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » .

أكثر الناس لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ، أمور من المحسات عرفوها بالممارسة ، والتعود ، وأدركوها بالتقلب في المعاش ، والتجربة . وهم في غفلة عن الحقائق الكبرى ، التي تتصل بالمبدأ والمنتهى والقوانين التي تسير الناس في الحياة ، والتي تقضي بين الحق والباطل والخير والشر ، وتفصل بين أمة مصلحة وأخرى مفسدة ، وجماعة يغلب فيها الحق ، وأخرى يسود فيها الباطل . وهم في غفلة عن الآخرة وما فيها من جزاء عادل ، وقصاص حق .

عبد الوهاب عزام

إنها فلسفة ، ولكن ليست كل فلسفة هذياناً . وإنها أوهام ، ولكن الحياة كلها أوهام تزيد وتنقص ، ونسعد بها ونشقى ، أو شيء كالأوهام :

يحمل الرجلان المتكافئان في القوة الحمل الواحد ، فيشكو هذا ويتذمر فكأنه حمل حملين ، ويضحك هذا ويغني فكأنه ما حمل شيئاً ، ويمرض الرجلان المتعادلان في الجسم المرض الواحد فيتشاءم هذا ويخاف ، ويتصور الموت ، فيكون مع المرض على نفسه ، فلا ينجو منه ، ويصبر هذا ويتفاءل ويتخيل الصحة ، فتسرع إليه ويسرع إليها . ويحكم على الرجلين بالموت ، فيجزع هذا ويفزع فيموت ألف مرة من قبل الممات ، ويملك ذلك أمره ويحكم فكره ، فإذا لم تُشَجِّعه من الموت حيلته ، لم يقتله قبل الموت وهمه ...

وهذا بمارك رجل الدم والحديد ، وعبقري الحرب والسلم ، لم يكن يصبر عن التدخين دقيقة واحدة ، وكان لا يفتأ يوقد الدخينة من الدخينة نهاره كله فإذا افتقدها خلَّ فكرُه ، وساء تدبيره . وكان يوماً في حرب فنظر فلم يجد معه إلا دخينة واحدة ولم يصل إلى غيرها ، فأخرها إلى اللحظة التي يشتد عليه فيها الضيق ويعظم الهم ، وبقي أسبوعاً كاملا من غير دخان ، صابراً عنه أملا بهذه الدخينة ، فلما رأى ذلك ترك التدخين ، وانصرف عنه ، لأنه أبى أن تكون سعادته مرهونة بلفافة تبغ واحدة ...

وهذا العلامة المؤرخ الشيخ الخضري ، أصيب في أواخر عمره بتوهم أن في أمعائه ثعباناً ، فراجع الأطباء ، وسأل الحكماء فكانوا يدارون الضحك حياء منه ، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود ، ولكن لا تقطنها الثعابين . فلا يصدق .

حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب ، بصير بالنفسيات ، قد سمع بقصته ، فسقاه مسهلا وأدخله المستراح وكان قد وضع له فيه ثعباناً فلما رآه أشرق وجهه ، ونشط جسمه ، وأحس العافية ونزل يقفز قفزاً ، وكان قد صمد متحاملا على نفسه يلهث إعياء ، ويئن ويتوجع ، ولم يمرض بعد ذلك أبداً .

ما شفى الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل ، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار ، لأنه أيقظ قوى نفسه التي كانت نائمة ، وإن في النفس الإنسانية لقوى إذا عرفتم كيف تفيدون منها صنعت لكم العجائب .

تنام هذه القوى فيوقظها الخوف ويوقظها الفرح ؛ ألم يتفق لواحد منهم أن أصبح مريضاً ، خامل الجسد ، واهي العزم لا يستطيع أن ينقلب من جنب إلى جنب ، فرأى حيَّة تقبل عليه ، ولم يجد من يدفعها عنه ، فوثب من الفراش وثباً ، كأنه لم يكن المريض الواهن الجسم ؟ أو رجع إلى داره العصر وهو ساغب لاغب ، قد هدَّه الجوع والتعب ، لا يبتغي إلا كرسياً يطرح نفسه عليه ، فوجد برقية من حبيب له أنه قادم الساعة من سفره ، أو كتاباً مستعجلا من الوزير يدعوه إليه ليرقى درجته ، فاحسَّ الخفة والشبع ، وعدا عدواً إلى المحطة ، أو إلى مقر الوزير ؟

هذه القوى هي منبع السعادة تتفجر منها كما يتفجر الماء من الصخر نقياً عذباً ، فتتركونه وتستقون من الغدران الآسنة ، والسواقي المكرة .

أيها السادة والسيدات : إنكم أغنياء ولكنكم لا تعرفون مقدار الثروة التي تملكونها ، فترمونها زهداً فيها ، واحتقاراً لها .

يصاب أحدكم بصداع أو مغص ، أو بوجع الضرس ، فيرى الدنيا سوداء مظلمة ، فلماذا لم يرها لما كان صحيحاً بيضاء مشرقة ؟ ويحمى عن الطعام ويمنع منه ، فيشتهي لقمة الخبز ومضغة اللحم ، ويحسد من يأكلها ، فلماذا لم يعرف لها لذتها قبل المرض ؟

لماذا لا تعرفون النعم إلا عند فقدها ؟

لماذا يبكي الشيخ على شبابه ولا يضحك الشاب لصباه ؟

لماذا لا نرى السعادة إلا إذا ابتعدت عنا ، ولا نبصرها إلا غارقة في ظلام الماضي أو متشحة بضباب المستقبل ؟

كل يبكي ماضيه ، ويحن إليه ، فلماذا لا نفكر في الحاضر قبل أن يصير ماضياً ؟

أيها السادة والسيدات :

إنا نحسب الغنى بالمال وحده ، والمال وحده ؟ ألا تعرفون قصة الملك المريض الذي كان يؤتى بأطايب الطعام فلا يستطيع أن يأكل منها شيئاً ، فانظر من شباكه إلى البستاني وهو يأكل الخبز الأسمر بالزيتون الأسود ، يدفع اللقمة في فمه ويتناول الثانية بيده ، ويأخذ الثالثة بسيفه ، فتمنى أن يجد مثل هذه الشهية ويكون بستانياً ؟

فلماذا لا تقدرون ثمن الصحة ؟ أما للصحة ثمن ؟

من يرضى منكم أن ينزل عن بصره ويأخذ مائة ألف دولار؟ من يبيع قطعة من أنفه بأموال عبود باشا ؟

أما تعرفون قصة الرجل الذى ضل فى الصحراء ، وكاد يهلك جوعاً وعطشاً ، لما رأى غدير ماء وإلى جنبه كيس من الجلد ، فشرب من الغدير ، وفتح الكيس بأمل أن يجد فيه تمراً أو خبزاً يابساً ، فلما رأى ما فيه ، ارتد يأساً ، وسقط إعياء . لقد رآه مملوءاً بالذهب !

وذاك الذى رأى مثل ليلة القدر ، فزعموا ، أنه سأل ربه أن يحول كل ما مسته يده ذهباً ، واستجيبت دعوته ، فلمس الحصى فصار ذهباً ، ومس الخشب فصار ذهباً ، فكاد يجن من فرحته ، ومشى إلى بيته ما تسمه الدنيا ، وعمد إلى طعامه ليأكل فمس الطعام فصار ذهباً ، وبقى جائعاً ، وأقبلت بنته تواسيه ، فعانقها فصارت ذهباً ... فقعد يبكى يسأل ربه أن يعيد إليه بنته وسفرته وأن يبعد عنه الذهب .

وروتشلد الذى دخل خزانة ماله الهائلة فانصفق عليه بابها فمات غريقاً فى بحر من الذهب .

يا سادة : لماذا تطلبون الذهب وأنتم تملكون ذهباً كثيراً ؟ أليس البصر من ذهب ، والصحة من ذهب ، والوقت من ذهب ؟ فلماذا لا تستفيد من أوقاتنا ؟ لماذا لا تعرف قيمة الحياة ؟

كانقضى المحطة بهذه الأحاديث الأربعة من شهر ، فما زلت أماطل بها ، والوقت يمر ، أيامه ساعات ، وساعاته دقائق ، لا أشعر بها ولا أنتفع منها، فكأنها صناديق ضخمة خالية ، حتى إذا دنا الموعد ولم يبق إلا يوم واحد، أقبلت على الوقت أنتفع به ، فكانت الدقيقة ساعة، والساعة يوماً، فكأنها الحلب الصغيرة المترعة جوهراً وتبراً ، واستفدت من كل لحظة حتى إنى لأكتب هذا الحديث والله، فى محطة (باب اللوق) وأنا أنتظر الترام فى زحمة الناس وتدافع الركاب ، فكانت لحظة أبرك عليّ من تلك الأيام كلها ، وأسفت على أمثالها ، فلو أنى فكرت كلما وقفت أنتظر الترام بشىء أكتبه ، وأنا أقف كل يوم أكثر من ساعة متفرقة أجزاؤها ، لربحت شيئاً كثيراً . ولقد كان صديقنا الأستاذ الشيخ بهجة البيطار يتردد من سنوات بين دمشق وبيروت ، يعلم فى كلية المقاصد وثانوية البنات ، فكان يتسلى فى القطار بالنظر فى كتاب (قواعد التحديث) للامام القاسمى ، فكان من ذلك تصحيحاته وتعليقاته المطبوعة مع الكتاب ، والعلامة ابن عابدين كان يطالع دائماً، حتى أنه إذا قام إلى الوضوء أو قعد للأكل أمر من يتلو عليه شيئاً من العلم فألف (الحاشية) . والسرخسى أملى وهو محبوس فى الجب ، كتابه المبسوط ، أجل كتب الفقه فى الدنيا ، وأنا أعجب ممن يشكو ضيق الوقت ، وهل يضيق الوقت إلا الغفلة أو الفوضى ؟ أنظروا كم يقرأ الطالب ليلة الامتحان ، تروا أنه لو قرأ مثله لا أقول كل ليلة ، بل كل أسبوع مرة لكان علامة الدنيا ، بل انظروا إلى هؤلاء الذين ألفوا مئات الكتب كابن الجوزى والطبرى والسيوطي والجاحظ ، بل خذوا كتاباً واحداً كنهاية الأرب ، أو لسان العرب، وانظروا ، هل يستطيع واحد منكم أن يصبر على قراءته كله ونسخه مرة واحدة بخطه فضلا عن تأليف مثله من عنده ؟

والذهن البشرى ، أليس ثروة ؟ أماله ثمن؟ فلماذا نشقى بالجنون ولا نسعد بالعقل ؟ لماذا لا تمكن للذهن أن يعمل ولو عمل لجاء بالمدهشات ؟ لا أذكركم بشىء قريب منكم ، سهل عليكم ، هو الحفظ ، إنكم تسمعون قصة البخارى لما امتحنوه بمائة حديث خلطوا متونها وأسنادها ، فأعاد المائة بخطئها وصوابها. والشافعى لما كتب مجلس مالك بريقه على كفه ، وأعاده من حفظه . والمعرى لما سمع أرمنيين يتحاسبان بلغتهما ، فلما استشهداه أعاد كلامهما وهو لا يفهمه . والأصمعى وحماد الراوية وما كانا يحفظان من الأخبار والأشعار . وأحمد وابن معين وما كانا يرويان من الأحاديث والآثار . والمئات من أمثال هؤلاء ... فتعجبون ، ولو فكرتم فى أنفسكم لرأيتم أنكم قادرون على مثل هذا ولكنكم لا تفعلون .

أنظروا كم يحفظ كل منكم من أسماء الناس والبلدان ، والصحف والمجلات ، والأغانى والنكات ، والمطاعم والمشارب ، وكم قصة يروى من قصص الناس والتاريخ ، وكم يشغل من ذهنه ما يمر به كل يوم من المقروءات والمرئيات والمسموعات فلو وضع مكان هذا الباطل علماً خالصاً ، لكان مثل هؤلاء الذين ذكرت .

الذكرى العاشرة للرافعي *

للأستاذ محمود أبو ريه

مما يجب علينا لعظمائنا وعلمائنا الذين ينتزعهم الموت من بيننا، أن نتهز كل مناسبة تمر بنا لنستعلن بفضلهم، ونبعث التحية الطيبة إلى أرواحهم، وفي ذلك وفاء لهم وإحياء لذكرهم حتى لا نرمى بعدم الوفاء، ولا نزن بنكران الجميل

ولمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاة أديب العربية وكاتبها السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله نرى من الحق علينا أن نبعث إلى روحه الطاهرة بتحية مباركة طيبة ونرجو أن تفي هذه التحية ببعض ما له من فضل وما يستحق من تقدير

نبت الرافعي في أكرم منبت وأزكى مغرس؛ فبيت (الرافعي) مشهور في الأقطار الإسلامية بأنه بيت علم وأدب وتقوى، ولئن كان رحمه الله قد ورث عن آبائه الدين والتقوى، فانه قد نشأ على حب الأدب العربي، فأقبل على دراسته دراسة استيعاب واستقصاء وتحقيق، حتى تضلع من فنونه، وتملأ من أصوله، ووقف على أساليب بلغاء العربية وأحاط بطرائقهم ومناحيهم حتى أصبح صدره خزانة أدب. وقد آتاه الله ملكة قوية في البلاغة، وحاسة دقيقة في البيان، وبهذه الدراسة المحيطة للأدب العربي، والملكة القوية في البلاغة، والذوق الدقيق في البيان، استطاع أن يبتدع لنفسه أسلوباً خاصاً في الكتابة العربية يباين أساليب الكتاب جميعاً إذ يجمع هذا الأسلوب بين البلاغة والحكمة والخيال، هذا مع النكتة اللاذعة والكناية المستملحة. حتى لو أنك نصبت جملة من إنشائه بجانب جمل كثيرة من إنشاء غيره من كتاب العربية لبانت جملته منها جميعاً، ولنادت على نفسها بأنها للرافعي ومن أسلوبه رحمه الله

لقد شبهوه بالجاحظ، وكأنهم لما رأوا أسلوبه محكم النسج متخير اللفظ مصقول العبارة أنيق الديباجة، قد خلعت عليه البلاغة زخرفها، وكسته الفصاحة بجميل وشيها؛ قالوا إنه جاحظ هذا العصر. ولكن الجاحظ على إمامته في البلاغة وبراعته في

(*) توفي رحمه الله في صباح يوم الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧.

أعرف نادلا كان في (قهوة فاروق) في الشام اسمه (حلمي) يدور على رواد القهوة وهم مئات يسألهم ماذا يطلبون: قهوة أو شاياً أو كازوزة أو ليموناً، والقهوة حلوة ومرة، والشاي أحمر وأخضر والكازوزة أنواع، ثم يقوم وسط القهوة ويرد هذه الطلبات جهراً في نفس واحد، ثم يجيء بها فما يخرم مما طلب أحد حرفاً!

فيا سادة، إن الصحة والوقت والعقل، كل ذلك مال، وكل ذلك من أسباب السعادة لمن شاء أن يسعد.

* * *

وملاك الأمر كله ورأسه الإيمان، الإيمان يشبع الجائع، ويدفىء المقرور، ويغني الفقير، ويسلي المحزون، ويقوي الضعيف، ويسخي الشحيح، ويجعل للانسان من وحشته أنساً، ومن خيبته نجحاً.

وأن تنظر إلى من هو دونك، فإنك مهما قل مرتبك، وساءت حالك، أحسن من آلاف البشر ممن لا يقل عنك فهماً وعلماً، وحسباً ونسباً، وأنت أحسن عيشة من عبد الملك بن مروان، وهارون الرشيد، وقد كانا ملكي الأرض. فقد كانت لعبد الملك ضرس منخورة تؤلمه حتى ما ينام منها الليل، فلم يكن يجد طبيباً يحشوها ويلبسها الذهب، وأنت لا تؤلمك ضرسك حتى يقوم في خدمتك الطبيب. وكان الرشيد يسهر على الشموع، ويركب الدواب والحوامل وأنت تسهر على الكهرباء، وتركب السيارة. وكانا يرحلان من دمشق إلى مكة في شهر وأنت ترحل في أيام أو ساعات.

فيا أيها السادة والسيدات.

إنكم سعداء ولكنكم لا تدرون. سعداء إن عرفتم قدر النعم التي تستمتعون بها، سعداء إن عرفتم نفوسكم وانتقمتم بالمحزون من قواها، سعداء إن سددتم آذانكم عن صوت الديك ولم تطلبوا المستحيل فتحاولوا سد فمه عنكم، سعداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم.

أكمل الله عليكم سعادتكم، وأسعد الله مساءكم، والسلام عليكم.

(القاهرة) علي الطنطاوي

الترسل ، وطول نفسه فى العبارة ، وافتنانه فى تلوينها وابداع تصويرها ، كان عندما يستطرد إلى غير الغرض الذى ساق كلامه إليه ، ويذهب فى شعاب القول هنا وهنا يؤدى به هذا الاستطراد إلى الخروج عن بلاغته العالية .

ومع أن الجاحظ حجة من حجج العربية وامام كتابها على مد العصور فانك لا تجد فى مطاوى كلامه قبساً من الحكمة . والحكمة من أقوى اداة الكاتب والشاعر

ولقد كان للرافعى خيال بعيد ينفذ به إلى أقطار المبانى الدقيقة فيستوحى منها الدرر ، ويحلق فى جواء التصورات البعيدة فيستنزل منها الغرر

ولا نقول هذا مجاملة له رحمه الله ، ولا يدفعنا إليه تشيع لما كان بيني وبينه من أواصر الصداقة والمودة ، وإنما هو الحق والانصاف .

وقد كان الرافعى أستاذ مدرسة خاصة فى الأدب والكتابة ، وكان فى الأخلاق الكريمة والتمسك بآداب الإسلام ومجد العرب أمة وحده ، لا يعنيه شىء فى الحياة إلا أن يحرس لغة القرآن ويحافظ على أساليبها ، ويبعث من تراثها ، ثم كان لا يفتأ يعمل على إحياء الآداب الإسلامية والأخلاق الدينية ، حتى ينشأ هذا الجيل على محبة لغته ودرس فنونها والتمرس بآدابها ثم يأخذ بأخلاق دينه وصالح عاداته . إذ كان يستيقن رحمه الله — وهو على حق — ان الأمة لا تنهض إلا باستمساكها بأصول لغتها وكريم أخلاقها ، ثم لها بعد ذلك أن تأخذ من العلوم والفنون النافعة فى الحياة ما شاءت وشاء لها نظام العمران

ولما انبعثت فتنة (التجديد والمجددين) منذ أكثر من ثلث قرن وكان أهلها يحاولون أن تكون الكتابة (باللغة العامية) وأن نهجر أدبنا القديم وتراثنا التليد كان هو أول من نازل دعاتها وظل وحده يناضل ويصاول حتى كتب له النصر وخرجت الأساليب العربية الصحيحة ظافرة تشرق على أسلات الأقلام

وما كانت هذه الفتنة لإصلاح يراد ولا كانت لتطور معتدل وإنما كانت ترمى إلى غرض بعيد ؛ ذلك أن القضاء على البلاغة العربية يؤدى لا جرم إلى هجر القرآن وعدم فهمه وبذلك يصبح هذا الكتاب المقدس للغة العربية كاللاتينية للغات الأوروبية ؛ ومتى صار القرآن كذلك فقل على الإسلام العفاء .

وظل رحمه الله رابضاً متحفزاً يحمى ذمار العربية ويذود عن حوضها إلى أن انقلب إلى ربه

وانى لأشهد أنه كان يتحرق على ماوصلنا إليه من ضعف فى الأدب ، وانحلال فى الخلق ، ويود لو تتاح له الفرصة ليطلع على الناس فى كل أسبوع بمقال فى إحدى الصحف يؤدى فيه شيئاً من رسالته حتى سنحت له فرصة الكتابة بمجلة الرسالة الغراء وارتقى منبرها فامتلأ قلبه فرحاً وقد بدا سروره فى خطاب أرسله إلى فقال[1]

« أما الرسالة فهم كتبوا إلى بعد أن تركت طه حسين ... وقد رأيت انى مخطىء فى الاقتصار على وضع الكتب ، وكان فى نيتى من زمن الكتابة أسبوعياً فى مجلة كبيرة كما أخبرتك فلما عرضت هذه الفرصة انتهزتها لأجرب هذه الطريقة ... ولعلى أوفق إن شاء الله بعونه تعالى فى المضى فى الكتابة والقوة بالله ، وسأنوع المواضيع كما رأيت ويدخل فيها فصول الكتاب النبوى بين الوقت والوقت إلى أن يتم وأنا أقاسى فى كتابته الآن عسراً شديداً من الحر والتعب وحالة المعيشة الحكومية لعنة الله عليها

« وهذا الموضوع صعب جداً يا أبارية ليس فى العربية مقال واحد منه . ومن يومين أطلعنى المريان على الجزء الأول للنظرات [2] فإذا فيه مقال عن الهجرة لا يساوى نصف مليم ! فادع الله لنا بالعون فى اقتحام هذه العقبة ... »

والكتاب النبوى الذى يشير إليه الرافعى فى هذا الخطاب هو كتاب كان يريد أن يضعه فى رسالة الرسول صلوات الله عليه ويجعل عنوانه (محمد)

ولقد كان له غير ذلك آمال يريد تحقيقها وأعمال يود استكمالها ، ومن هذه الأعمال كتاب (تاريخ آداب العرب) الذى كان يقول عنه انه دين فى عنقه حتى يتمه. وقد انعقد الاجماع عندما ظهر الجزء الأول منه انه لم يؤلف فى موضوعه مثله

وممن أشادوا به الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فقد

---

(١) فى خطاب أرسله الى مؤرخ ١٩٣٤/٧/٤ .

(٢) كتاب النظرات للمنفلوطى رحمه الله .

عقد له صفحات كثيرة فى الجريدة ولولا اننا نؤثر الإيجاز لأتينا على ما كتبه هنا[١]

وعقد له الأمير شكيب أرسلان رحمه الله صفحة طويلة فى صدر جريدة المؤيد[٢] جاءت فيها هذه العبارة « لو كان هذا الكتاب خطا محجوباً فى بيت حرام اخراجه منه لاستحق أن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشىء الاسحار لكان جديراً أن يعكف عليه »

ومن الكتب التى أتمها كتاب (أسرار الإعجاز) وكان رحمه الله يفاخر به وقد وضع أكثره . وكان يريد أن يضع « رسالة فى معارضة الدرة اليتيمة لابن المقفع بنفس الأسلوب وعلى الطريقة الأولى فى الكتابة العربية طريقة المتقدمين »[٣]

وكتب إلى فى خطاب[٤]

« وأنت قرأت الآم فرتر وهذا الكتاب مشهور فى لغات أوروبا وآدابها فأنا أريد معارضته وقد قام بذهنى انه لا راحة لى إلا إذا أخرجت مثله »

وقال فى خطاب آخر :

« ولا يزال فى فكرى أن أضع كتاباً صغيراً يكون أشبه بقصيدة واحدة فى معارضة سفر من أسفار التوراة كأناشيد سليمان مثلا »[٥]

وقال فى خطاب[٦]

« وأنا بحسرة من كليلة ودمنه[٧] فلو وفقنى الله إلى اتمامه كتاباً برأسه لكان حادثاً فى تاريخ العربية كلها »

ولا استوفى هنا كل ما كان يريد عمله

ولقد كان له فى البحث والاستقصاء شأن عجيب فيوم أن غمره الجمال وأخذ يؤلف كتاب أوراق الورد بعد رسائل الأحزان أراد أن يعرف هل كتب (اخوان الصفا) فى الجمال فكتب لى فى خطاب مؤرخ ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠

« ... أبحث فى إخوان الصفا هل كتبوا عن الجمال فإنى لم أقرأ فى هذا الكتاب إلا قليلا ولا وقت عندى لتصفحه ... »

كتب إلى فى خطاب آخر مؤرخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣١ يقول

« أحب أن تراجع قسم المنطق من رسائل إخوان الصفا لمعرفة هل استعمل واضعو هذه الرسائل كلمة (استنتاج) أم لا فإن من مقالات المجموعة[١] مقالة عن هذه الكلمة وحل استعمالها . أما الكلمة نفسها فعثرت عليها فى كتابة ابن سينا وهذا يدل على أنه أخذها عمن قبله ، فلا بد أن تكون قد وردت فى رسائل إخوان الصفا » . وإن القول فى الرافعى وأدبه لطويل ؛ وإنما هى سطور كتبناها لمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاته رحمه الله

وإذا كان أقصى مايقال فى العظماء بعد وفاتهم أن يتحدث عن صفاتهم وأعمالهم ، وعما أصاب الناس بفقدهم ، وهل لهم خلف يعزى عنهم أو أنهم قد خلا مكانهم فإنى أقولها كلمة ولا أخشى فيها أحدا .

ذلك إن مكان الرافعى قد خلا وانه لم يخلفه فى إداء رسالته أحد . رحمه الله رحمة واسعة .

المنصورة محمود أبو ريه

(١) أى مجموع مقالاته وكان يسمى هذه المجموعة (الورقات) .

(١) يراجع بعض ما كتبه فى عدد الجريدة الصادرة فى ٤ مارس سنة ١٩١٢ .
(٢) جريدة المؤيد الصادرة فى ١٩ فبراير سنة ١٩١٢ .
(٣) من خطاب خاص مؤرخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ .
(٤) من خطاب خاص مؤرخ ١٩٢١/١/٢٥ .
(٥) من خطاب مؤرخ ٥ يونيه سنة ١٩٣٦ .
(٦) من خطاب مؤرخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ .
(٧) نشر بعض فصول من هذا الكتاب فى كتابه (تحت راية القرآن)

إعلان مناقصـــــة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة مدير إدارة الميزانية واللوازم بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٤٧ عن مناقصة التوريدات العمومية المستديمة لسنة ٤٧ / ١٩٤٨ ويمكن الحصول على الاستعلامات اللازمة من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم ٧١٦٦

هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟

الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة وأسبابها

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

« إلى ذكرى العالم البيولوجى المصرى الكبير الدكتور عثمان غالب باشا أقدم هذه الثمرة البسيطة من حديقة تعاليم الفيحاء »

يعتقد جمهور الناس أن الموت نتيجة طبيعية لازمة للحياة ، وأن كل كائن حى لا بد من أن يموت . فإذا صحت هذه العقيدة فلا محل للبحث عن أسباب الشيخوخة ولا محاولة الكشف عن علاج لها لانتفاء حدوثها لأنها تكون حينئذ قضاء محتما لا مفر منه . ولكن من ينعم النظر ويدقق البحث على ضوء الاكتشافات والحقائق العلمية الحديثة يتضح له أن تلك العقيدة لا تستند إلى أى سند علمى وأن سبب قيامها فى أذهان الناس هو ما يشاهدونه عادة فى الإنسان وفى باقى الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا نتيجة عوامل الشيخوخة التى سيأتى الكلام عنها .

وقبل أن نتكلم عن هذه العوامل ونبين أن الشيخوخة مرض كسائر الأمراض ينشأ عن تسمم تدريجى ناتج من نظام التغذية وجهاز التصريف الناقصين فى النباتات والحيوانات (بما فيها الإنسان) — نقدم من الآن الأدلة القاطعة التى تهدم تلك العقيدة من أساسها — عقيدة ضرورة الموت — ونعنى بذلك الحيوانات والنباتات الخالدة .

الحيوانات والنباتات الخالدة :

كل من يفحص بالميكرسكوب قطعة من جسم إنسان أو من جسم أى حيوان أو أى نبات يتضح له أنها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة وهى أشبه بخلايا النحل ولكنها غير منتظمة مثلها ، والخلية تتركب من مواد زلالية مخلوطة أو ممزوجة بمواد دهنية ومواد سكرية أو نشوية ، وفى وسطها نواة من مواد زلالية أخرى ، ولمعظمها غشاء أو غلاف يحيط بها من مادة زلالية وغيرها فى الحيوانات ، ومن مادة السيليلوز فى النباتات وهى من فصيلة السكر والنشاء ومادة الخشب .

وأصل كل فرد من النباتات والحيوانات (ومنها الإنسان) خلية واحدة تسمى فى علمى الحيوان والنبات « بالبيضة » ، وهى خلية ميكرسكوبية[1] تنتج من تلقيح بويضة الأنثى بخلية خاصة مشتقة من أعضاء التذكير فى الحيوانات والنباتات . وتأخذ البيضة بعد التلقيح فى النمو بطريق الانقسام نتيجة التغذى فتنقسم إلى قسمين يبقيان متلاصقين ، وينقسم كل منهما إلى قسمين آخرين وهلم جرا ، وعلى هذا النحو تتكاثر الخلايا المشتقة من البيضة وتنشأ منها مختلف الأنسجة والأعضاء فيتكون الجنين ثم الفرد الكامل .

غير أنه توجد كائنات حية مكونة من خلية واحدة وأعنى بها النباتات الأولية كالبكتريا والكروبات ، والحيوانات الأولية الميكرسكوبية كالإميبا التى يسبب نوع منها مرض (الدوسنطاريا) وكجرثومة الملاريا وجرثومة مرض النوم وغيرها . وكيفية توالد وتكاثر هذه الأحياء ذات الخلية الواحدة هى أن تنقسم كل منها إلى قسمين (وأحياناً فى بعض الأنواع إلى أقسام عديدة) كما يحدث لخلايا الحيوانات والنباتات الأخرى المتعددة الخلايا وخاصة أثناء تكوين أجنتها (جمع جنين) على الوجه المتقدم بيانه . غير أن كل قسم جديد من أقسام الخلية الأصلية ينفصل هنا عن غيره ويصبح فرداً جديداً يحيا حياة مستقلة ويتغذى فينمو وينقسم بدوره إلى أقسام أخرى تصبح أفراداً جديدة ، وهكذا ، بحيث لا يموت ولا يفنى شىء من هذه الأفراد إلا بحادث مهلك كأن يجف الماء الذى تعيش فيه أو يفسد أو كأن تبتلعها حيوانات أخرى مع الماء وتهضمها .

ولكن يحدث أنه بعد عدة انقسامات تصبح الأفراد الأخيرة غير قابلة للانقسام كأنها شاخت أو هرمت ، وهذه أول صور الشيخوخة وأبسطها فى عالم الأحياء . ولا شك فى أن هذا العجز ناتج مما يتراكم داخل أجسامها من بقايا المواد الإفرازية السامة

(١) أما بيض الطيور الكبير المعروف للجمهور بهذا الإسم فهو أيضاً بيض بالمعنى العلمى ولكنه يحتوى على كمية هائلة من المواد الغذائية المختلفة التى يتغذى بها الجنين ويتكون منها أثناء نموه داخل القشرة الجامدة .

المتولدة من احتراق المواد الغذائية بعد هضمها وعدم تصريفها (أى الإفرازات السامة) إلى الخارج بأكملها ، ذلك الاحتراق اللازم لتوليد الطاقة (القوة والحرارة) الضرورية لعمليات الحياة ، ولهذا يعرّف الفسيولوجيون الغذاء بأنه وقود الماكينات الحية الحيوانية والنباتية . ولو استمر هكذا حال تلك الأفراد العاجزة عن الانقسام لماتت لا محالة كما يموت أفراد الأحياء العليا بالشيخوخة . غير أنه يكفى لاسترداد شبابها ونشاطها الانقسامى أن يلتصق كل فردين منها أحدهما بالآخر ويتبادلان نصف نواتيهما ثم ينفصلان فإذا بهما شباب ناهض قابل للانقسام من جديد . وهذه هى أول صورة من صوّر التلقيح فى عالم الكائنات الحية .

ولبس التلقيح سراً من وراء الطبيعة فقد استعاض عنه البيولوجيون (علماء الحياة) وفى مقدمتهم جاك لوب ببعض مؤثرات طبيعية أو كيميائية على الأفراد العاجزة عن الانقسام فيفصلون فرداً واحداً منها فى قليل من الماء ويضيفون إليه قليلا من بعض الأحماض أو القلويات الخفيفة أو يسلطون عليه تياراً كهربائياً ضعيفاً أو يرجّونه داخل أنبوبة صغيرة فيأخذ هذا الفرد الهرم فى الانقسام من تلقاء نفسه كما يحدث عقب اتصاله بفرد آخر مماثل له وتلقيح الواحد منهما بالآخر على الوجه المتقدم بيانه.

ويظهر أن فعل التلقيح الطبيعى وفعل هذه المؤثرات الاصطناعية إنما هو تنشيط تصريف تلك الافرازات السامة المتراكمة داخل أجسام الأفراد التى شاخت وصارت عاجزة عن الانقسام أو إحداث تفاعلات كيميائية من شأنها إزالة تلك السموم الإفرازية ونحو أثرها .

وخلاصة القول أن الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة هى كائنات حية لا تموت ولا ينعدم منها شىء ، فمتى وصل الفرد منها إلى تمام نموه ينقسم إلى قسمين مستقلين يصبح كل منهما فرداً جديداً ينمو ثم ينقسم بدوره إلى أفراد جديدة ، وهكذا إلى ما لا نهاية له دون أن يموت أو يتلاشى شىء منها إلا بحادث مهلك كما تقدم فى ذلك القول. فهى أحياء خالدة بالمعنى الحقيقى ويمكن القول أن أفرادها التى تعيش الآن هى هى التى نشأت منذ نحو مائة مليون سنة عند ظهور الحياة على الأرض وما زالت حية تنقسم منذ ذلك الماضى البعيد المتغلغل فى القدم إلى اليوم وإن كان قد طرأ عليها أثناء ذلك بعض التغيير فى أشكالها بفعل العوامل الطبيعية جرياً على نواميس التطور والتحول . وإذا لوحظ أن هذه الكائنات الأولية ذات الخلية الواحدة هى أول ماظهر على الأرض وأنه مضت مئات الألوف أو الملايين من السنين قبل أن يتحول فريق منها إلى الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا — إذا لوحظ هذا يمكن القول أن الموت ليس نتيجة لازمة للحياة وأنه مرت على الأرض فترة طويلة من الزمن تنعم فيها الأحياء بالخلود ، وإنما طرأ الموت على الكائنات الحية فى طور من تطوراتها فى الوقت الذى أخذت فيه الاحياء ذات الخلية الواحدة تعيش جماعة متلاصقة لأسباب طبيعية محلية دعت إليها الظروف المستجدة ، ذلك لأن خلايا هذه الأحياء المتعددة — المتعددة الخلايا — ثابتة فى مكانها فى الأنسجة المختلفة ، لا تستطيع (أى الخلايا) أن تنتقل لتلتقى بالخلايا الأخرى حتى تتلاقح وتتقى الشيخوخة على ما تفعل الأحياء الوحيدة الخلايا ، خصوصاً وأن كل فريق من تلك الخلايا المجتمعة فى الحيوانات والنباتات العليا تخصص فى وظائف معينة من أعمال الحياة وتنوع فى شكله ليلائم وظيفته كخلايا الأعصاب وخلايا العضلات وخلايا الغدد وخلايا الجلد وغيرها فى الحيوانات ، وكخلايا الأنسجة المختلفة فى النباتات فصار غير صالح لأن يتلاقح مع غيره (وقد تخصصت فيها خلايا أعضاء التناسل للتلقيح لمصلحة مجموع الحيوان أو النبات وهى التى تضمن بقاء النوع وعدم تلاشيه — النوع فقط دون الأفراد) .

فالموت يبدو لنا أنه نتيجة تطور الكائنات الحية من الأحياء الأولية ذات الخلية الواحدة إلى الأحياء الأرقى مرتبة وهى المتعددة الخلايا فهو الفدية التى ندفعها ثمنها لذلك الارتقاء ، ثمناً غالياً حقاً .

وهذا ما يقوله أستاذى المأسوف عليه العالم الكبير داستر Dastre الذى كان أستاذ علم الفسيولوجيا فى كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون) وعضواً فى المجمع العلمى (أكاديمى العلوم) وعضواً فى أكاديمى الطب فى كتابه «الحياة والموت» صحيفة ٢٢٧ وما بعدها .

« ... ومن هذا يتبين أن الخلود هو من خواص الكائنات ذات الخلية الواحدة التى تتناسل بطريق الانقسام النصفى ، وأما

لوحظ أن هذه الكائنات هى أول ماظهر من الإحياء على الأرض وأنها سبقت بزمن طويل الحيوانات والنباتات الأخرى المتعددة الخلايا فتكون النتيجة المنطقية البديهة أن الحياة ظلت مدة طويلة على الأرض دون الموت ، وإن الموت طرأ بعد ذلك نتيجة تطور الاحياء وتحولها من ذات الخلية الواحدة إلى المتعددات الخلايا »

* * *

ومما يؤيد هذا — أى عدم ضرورة الموت — التجارب القديمة المعروفة التى قام بها بعض من البيولوجيين على كثير من أنواع الديدان والحيوانات الجوفاء كأخطبوط الماء العذب بل وعلى حيوانات أعلى مرتبة ، بتقطيعها قطعاً تنمو كل قطعة منها وتصبح فرداً جديداً كاملا يحيا حياة مستقلة،وهكذا يصنعون من الحيوان الواحد عدة حيوانات ، ويكررون ذلك فى الأفراد الجديدة وهلم جرا . ويمكن مواصلة هذا العمل إلى ما لا نهاية له دون أن يتطرق الموت إلى تلك الأفراد مادامروا يقطعونها وهى فتية،وهذه العملية معروفة ومألوفة فى النباتات .

ويؤيد هـذا أيضاً التجارب والأبحاث العظيمة الشأن التى يقوم بها منذ سنين عديدة الدكتور كاريل فإنه يحفظ أجزاء حية صغيرة مفصولة حديثاً من أجسام الإنسان والحيوانات فى سوائل مغذية مطهرة تُجدد وتهوى باستمرار ، فتستمر حية يستعين بها الجراحون فى عمليات الترقيع وغيرها حتى أنهم وصفوا الدكتور كاريل « بأنه تاجر أنسجة حية » ، والأغرب من هذا أن تلك الأجزاء المحفوظة كثيراً ما تنمو وتتكاثر خلاياها بطريق الانقسام كما يظهر من فحصها تحت الميكرسكوب من حين إلى آخر بعد أن تكون قد فقدت تنوعها وعادت إلى شكل الخلايا الجنينية الأولى (الشكل البسيط الذى تكون عليه خلايا الجنين فى أول أطوار تكوينه) .

***

ويتصل بهذا الموضوع بحث على جانب كبير من الأهمية وهو أن تقسيم الكائنات الحية إلى حيوانات ونباتات ، وإلى فروع وصفوف ومراتب وفصائل أو أفراد إنما هو تقسيم اصطناعى من وضع الإنسان ، وإنه ليس للفوارق التى تفصل فى الظاهر بينها وجود مطلق حقيقى ثابت فى المكان والزمان ، فلا توجد فى الحقيقة والواقع إلا المادة أو مجموعة المواد الآلية المعقدة التركيب المسماه « بالحية » وهى صورة من صور المولد الكيميائية الأخرى ومشتقة منها — تشتق على الدوام تحت اعيننا وعلى مرأى منا من الجمادات ، من الهواء والأرض ، بفعل طاقة أشعاع الشمس بواسطة الكلورفيل (المادة الخضراء النباتية) . وقد ظهرت المواد المذكورة الموصوفة بالحية على الأرض منذ أن أصبحت هذه صالحة للحياة وستظل هكذا إلى أن تمسى غير صالحة لها ، كل هذا بفعل العوامل الطبيعية . وكل ما فى الأمر أن هذه المواد الحية الدائمة تبدو لنا فى صور مختلفة اختلافاً ظاهرياً وقتياً كما تبدو الجمادات والمعادن فى أشكال متنوعة يتحول بعضها إلى البعض وهى فى مجموعها لا تفنى . على أن هذا موضوع عويص يضيق بنا المقام دون بسطه الآن .

نصيف الفقارى

المحامى

(البقية فى العدد القادم)

الأستاذ أحمد محمد جمال

يقـــدم

١٥ ص الطـــــلائع

ديوان من الشعر الرصين

١٠ ماذا فى الحجاز ؟!

تاريخ موجز لحاضر الحجاز

٥ سعد قال لى

؟ ؟ ؟

تطلب من دار التوزيع والطبع والنشر

بشارع إبراهيم باشا ٥٣ ومن المكاتب الشهيرة

إلى طلبة التوجيهية :

٢ ـ شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

تمهيد — موضوعات القصيدتين — الصور والخيال — الأسلوب — كلمة عامة ... ...

وفى كلتا القصيدتين فخر ، ولكنه أيضاً صورة من نزوع الشاعر وميله ، فالبارودى رجل الجيش والحرب يفتخر بشجاعته وبلائه فى الحرب ، ولم تزايله حماسته فى منفاه ، فسيفه هنالك صاحبه الوحيد ، يحمله جسمه القوى الشديد ، وهو سيف متعطش إلى الدم ، حتى ليشرئب من الغمد إذا لمسه البارودى متلهفا إلى أن يضرب به . ويفخر بوفائه، وإقدامه ، وصواب رأيه إذا استبهم الصواب ، وربما كان غرضه هنا تعزيز رأيه الذى أبداه قبل الثورة العرابية متخوفاً من سوء عقباها ، ويكرر الفخر بشجاعته وتقدير الأبطال له حتى ليفدونه بأنفسهم ، وببلاغته وسحر شعره ، لكنه غالى فى قيمة هذا الشعر إذ زعم أنه يضارع أبلغ شعر سابق ، ويكبر أن يشبهه شعر لاحق ، وجرته محاكاته للقدماء إلى تقدير لذاذة شعره بأنها ألذ من الحداء ، وختم الفخر بأنه قوال وفعال وغيره يقول ولا يفعل .

ونخره بنفسه وبشعره فى مجال الشكوى تسرية عن نفسه من ناحية ، ومحاكاة لأبى فراس الحمدانى وهو أسير من ناحية . قال :

ولا صاحب غير الحسام منوطة حمائله منى على عاتق صلد
إذا حركته راحتى لمة تطلع نحوى يشرئب من الغمد
سجية نفس لا تخون خليلها ولا تركب الأهوال إلا على عمد
وإنى لمقدام على الهول والردى
بنفسى ، وفى الإقدام بالنفس ما يردى
وإنى لقوال إذا التبس الهدى
وجارت حلوم القوم عن سنن القصد
فإن صلت فدّانى الكمى بنفسه وإن قلت لبّانى الوليد من المهد

ولى كل ملساء المتون غريبة إذا أنشدت أفضت لذكر بنى سعد
أخف على الأسماع من نقم الحدا
وألطف عند النفس من زمن الورد
غدرة تمحو بأذيال حسنها
أساطير من قبلى ، وتعجز من بعدى
كذلك إنى قائل ثم فاعل فعالى ، وغيرى قد ينير ولا يسدى

أما شوقى شاعر مصر المنوه بأمجادها ، المعتز بماضيها ، العليم بتاريخها فقد افتخر بسالف عهدها ، فالدهر منذ طفولته لم يحتفل بغير الفراعنة ، ولم يعرف أقوى منهم ، وهم صبر على النوائب وفيون بالعهد لا يتلونون كالعرابى، وهو هنا يشير إلى وفائه للخديو عباس ويعرض بمن تلون من أصدقائه أو يعرض بالإنجليز أصحاب السياسة التقلبة ، والشمس لم تشرق على ملك عظيم كمصر ، وقد عبدت على ضفاف النيل ، ورأت ملوكا له أبناءها الفراعين ، وإنه لواد جميل خصيب تشرق الشمس عليه فتكسوه أشجاراً وورداً وحريراً ، ونحن الفراعنة حكمنا الأرض قبل الرومان ، وكنا رواد العالم ، ولم يفت شوقى أن يعرج على الأهرام الخالدة ، فوصفها هذا الوصف البارع : بناها الدهر لا الإنسان الفانى ، وعمرت مقاصيرها أربعة آلاف عام تقوضت فيها عروش الملوك وهى باقية ، وكأنها وبحر الرمل حولها سفن وأراها اليم إلا فلوعها ، وكأنها والضحا يتلألأ فوقها كنوز فرعون يزنها على موازين كبار فقطتها وتكومت فوقها . قال :

لم يجر للدهر إعذار ولا عرس إلا بأيامنا أو فى لياليـنا
ولا حوى السعد أطفى فى أعنته منا جياداً ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يهن بيد التشتيت غاليـنا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق إذا تلون كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
فى ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم تؤله على حافاته ، ورأت عليه أبناءها الغر الميامينا ؟
إن غازلت شاطئيه فى الضحا لبسا
خمائل السندس الموشية الفينا

وبات كل مجاج الواد من شجر لوافظ القز بالخيطان ترمينا
وهـذه الأرض من سهل ومن جبل
قبـل القياصر دناها فراعيـــنا

ولم يضع حجراً بان على حجر في الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر لا بنيان فابينا
إيوانه الفخم من عليا مقاصره يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينا
كأنها ورمالا حولهـا اللطمت سـفينة غرقت إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحا ذهباً كنوز فرعون غطين الموازينا

وهذا الفخر بماضي الوطن من شاعر مبعد عنه حزين لما الم به من أحـداث وكوارث قوى الصلة بمحور القصيدة ، وبنفسية الشاعر المكروب من الحاضر المتجهم ، فيرجع إلى الماضي المشرق لأنه يجد فيه عزته وراحته وسلوانه .

وأخيراً يتحدان في الغزل المصطنع من كليهما في هاتين القصيدتين ، فالبارودي ينعت حبيبته بالوفاء ، ويصفها بالجمال وجهاً وخصراً ، ويعرض حالة ماضيه إذ أسرته بنظرها الساحر فعلق بها وتبعها ، فتظاهرت بالدهشة من حماقته كأنها لا تعلم أنها الجانية ، ويرجوها ألا تصـد عنه حتى لا تعذبه وتقعده عن طلب المجد ، وألا تظن أن في قلبه قدرة على تحمل مزيد من الحب ، ويصور مقدار خضوعه لها بأنها لو أمرته أن يهلك نفسه لفعل . قال :

قلست بناس ليـلة سلفت لنا بواديه ، والدنيا تغر بما تـدى
إذالعيش ريان الأماليد،والهوى جديد وإذ لمياء صافية الود
منعمة ، للبـــدر ماق قناعها وللغصن مادارت به عقدة البند
سبتني بعينيها ، وقالت لتربها ألا ما لهذا الغر يتبعني قصدى

ولم تدر ذات الخال — والحب فاضح —
بأن الذى أخفيه غـير الذى أبدى

حنانيك إن الرأى حار دليله فضل ، وعاد الهزل فيك إلى الجد
فلا تسألى منى الزيادة فى الهوى رويداً،فهذا الوجد آخر ماعندى
وهأنا منقاد كما حكم الهوى لأمرك فاخشى حرمة الله والمجد

فلو قلت : قم فاصعد إلى رأس شاهق
وألق إذا أشرفت نفسك للوهـــد
لألفيتها طوعاً لعلك بعـدها تقولين : حيا الله عهدك من عهد

وشوق تنزل في محل بحبيبته التي يعف في حبها ، فهو يحن إليها حنيناً لا يشوبه تدلل ، وهو غير مستطيع صبراً على فراقها ، وهو جلد ولكن الحزن غلبه لأنه أبعد عنها بالنفي من وطنه وحصنه ، وليله طويل لا نهاية له تتناوبه فيه الذكريات الحلوة والمرة فتميته وتحييه ، وتكاد آلام الفراق ترديه ، ولا يفتأ يبكي ويئن ، ويراقب النجوم حتى ترثى له أو تمل مراقبته وتتعب من السير ، ولكنه في النهاية يتكلف الصبر أمام الأعداء حتى لا يشمتوا . قال :

يا من نغار عليهم من ضمائرنا ومن نصون هواهم في تناجينا
ناب الحنين إليكم في خواطرنا من الدلال عليكم في أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في النائبات فلم يأخذ بأيدينا
وما غلبنا على دمع ولا جـلد حتى أتتنا نواكم من سياسينا
ونابني كأن الحشر آخره تمثلنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوى دجاه يجرح من فراقكم يكاد في غلس الأسحار يطوينا
إذا رسا النجم لم نرقأ محاجرنا حتى يزول ولم تهدأ تراقينا
بتنا نقاسي الدواهي من كواكبه حتى قعدنا بها حسرى تقاسينا
يبـدو النهار فيخفيه تجلدنا للشامتين ويأسوه تأسـينا

ويتفرد شوقي بتمجيده عرب الأندلس والبكاء على ملكهم المضيع ، ولم يعرج البارودي في قصيدته ولا في غيرها على مجد المسلمين بالهنـد وأثرهم في تحرير عشرات الملايين من أبنائها من الوثنية ، وجوبهم البحار قبـل كولمبس وماجـلان ، وهي ينابيع ثرة بالذكريات يترع بها خيال الشاعر لو أنه مثقف وبصير بالتاريخ .

ثم يتميز بأن شكر لمصر برها به ، وإرسالهـا الهدايا والأموال إليه ، وأجاد تصوير حالها حين اضطرت إلى نفيه محبة له حريصة على سلامته .

ثم يفترق من البارودي بالتمهيد لموضوع قصيدته بمناجاة الحمام النائح ويختلف عنه أيضاً في تخيله نسمة عبقة قد سرت من مصر إليه فأنعشته ، ثم ينفرد بوصفه الرائع لجمال الطبيعة في مصر ، ووصفه أهرامها .

(البقية في العدد القادم)

أحمد محمد الحوفي

٢٨٠٣٩

هذا العالم المتغير :

دمك يؤثر على تفكير عقلك

للاستاذ فوزى الشتوى

دمك يتأثر بغذائك :

إلى أى مدى يظل عقلك أداة مفكرة تسيطر على عضلات جسمك ، إذا تعرض للحرارة أو البرودة أو نقص غذاؤه من الأكسوجين أو السكر أو الكلسيوم أو غيرها من المواد ؟

موضوع جديد ، واسع الآفاق ، عسير الفهم . ولكن العلماء يدركون أهميته البالغة ، ويعرفون أن المخ البشرى مثل جهاز اختبار محكم لا يكل لحظة عن الحركة . فهو يتلقى المؤثرات الخارجية أو الداخلية المختلفة ، ويحللها واحدة واحدة ثم يعطى أوامره للاستجابة المناسبة لكل منها أيضاً . ودراسة هذه الحركة الدائمة تتبع علما حديثاً نسميه بكيمياء العقل . فكلما تغيرت نسب المواد الكيميائية فى المخ تغيرت أيضاً استجابات الإنسان ، وآراؤه ، وشخصيته وأخلاقه ، وقدرته العقلية من ذكاء أوغباوة

فهل تعرف مثلا أن مخ الوليد أفقر فى المواد الحديدية من مخ البالغ ؟ وأن قصر العقل عن أداء وظائفه إنما ينطوى على نقص فى عناصره المعدنية ؟

اكتشف إبراهام ميرسون وليو الكسندر الإخصائيان فى الأمراض العقلية هاتين الحقيقتين بتمريض أنسجة المخ إلى أدمة المرقب الطيفى الكاشفة : وقاس آخرون مواد العقل الكيميائية فى حالات اضطرابه فوجدوها ناقصة فى بعض أنواع الكبريت والحديد

الماء فى المخ

وكميات الماء فى المخ عامل جوهرى فى أداء وظائفه وتقرير ملكاته . فإن زاد أو قل عن النسب المعقولة أدى إلى كوارث لا يقتصر أمرها على نقص القدرة العقلية بل يسفر عن هذيان وذهول وإغماء . فإن الماء فى المخ يحتفظ بالمواد الكيميائية فى محاليل ذات نسبة معينة من التركز ، وأى زيادة أو نقص فى كمية الماء تزيد تركيز المحاليل الكيميائية أو تنقصها مما يؤدى إلى اضطراب التفكير

وزيادة الحوامض أو القلويات فى المخ ذات تأثير وقتى فى الغالب ؛ ولكن المخ القلوى يعرض صاحبه للصرع ، ويقلبه بين حالات التشنج واضطراب الأفكار . أما المخ الحامضى فيعرض صاحبه لمرض السكر ، فعندما تتركز الجسيمات الحامضية يضعف المخ ويسفر عن الذهول ثم الإغماء أو يتوقف تماما عن كل نشاط

الأكسوجين والذكاء :

والأكسوجين بالنسبة للذكاء من أهم العناصر فى المخ . وقد برزت هذه الحقيقة عام ١٨٦٢ حين قام العالم الطبيعى جليشر يصحبه كوكسول الإخصائى فى المناطيد برحلتهما المشهورة فى طبقات الجو العليا. ففى ٤٨ دقيقة صعد بهما المنطاد إلى ارتفاع ٢٨٫٠٠٠ قدم . وعندئذ أدرك جليشر أنه لا يستطيع قراءة أرقام مقياس الحرارة أو ساعته . ولاحظ كوكسول حالة زميله فهبط بمنطاده وعندئذ استعاد جليشر قدرته العقلية

وتمادى هالدان وكالاس فى دراسة هذه الظاهرة فدخلا غرفة محكمة من الصلب ، وتولى آخرون إفراغها من هوائها حتى هبط الضغط داخلها إلى ٣٢٠ ملليمتراً من الزئبق أى ما يوازى ارتفاع ٢٤٫٥٠٠ قدم . وعندئذ تعذر على هالدان أن يقرأ أو يبدى أية ملاحظة وكانت إجابته على أى سؤال يوجه إليه «دعه على ٣٢٠» .

وبعد ساعة وربع استولى القلق على زملائهما خارج الغرفة فكتبوا رسالة وضعوها أمام نافذة الغرفة ولكن إجابتهما لم تتغير « دعه على ٣٢٠ » وكان من الجلى أن إجابتهما لم تكن سوى إجابة أناس تعطل تفكيرهم بسبب الحاجة إلى الأكسوجين

وخفف الصحب الضغط إلى ٣٥٠ ملليمتراً أى ما يوازى ارتفاع ٢١٫٥٠٠ قدم . ومعنى هذا زيادة كمية الأكسوجين فى الغرفة وأن القوة العقلية تسترد جزءاً من قدرتها لا كلها، والدليل على ذلك ان هالدان أراد أن يرى شفتيه فى مرآة تناولها ولكنه بدل أن ينظر إلى سطح المرآة العاكس حدق فى ظهرها

وخفف الضغط مرة أخرى إلى ٤٥ ملليمتراً (٥٠٠ر١٤ قدم) فانجلى ذهن هالدان تماما . ولكنه لم يحس بمرور الوقت كما أن ذاكرته لم تع شيئاً مما مر به فى تلك الفترة الطويلة

بناء فى ثلاجة :

وأجرى السير جوزيف باركروفت عدداً من التجارب ليعرف تأثير التبريد على المخ. وهو كما تعرف أحد العمليات الهامة فى الكيمياء . نخلع ملابسه ودخل ثلاجة رقد على أرضها ليرى النتيجة . وكان يعرف أنه يعرض نفسه باختياره للتجمد ليدرك استجابات العقل فى مثل هذه الحالة وكان يرقبه خارج الثلاجة أحد أتباعه ، فلما رآه يفقد وعيه لفه فى أغطية صوفية وأسقاه مشروبات ساخنة ليفيق . وقد كرر السير باركروفت تجربته . ووصفها بقوله ان ما أذكره عن محاولتى خفض درجة حرارة جسمى قليل . ففى كل من التجربتين اللتين قمت بهما أحسست بلحظة تغير خلالها كل مظهرى العقلى . فعندما كنت راقداً عارياً فى الثلاجة كنت أرتعش ، وكانت مفاصلى تنتفض رغما عنى فى محاولاتها القيام كما أحسست تماما بالبرد الشديد .

« وجاءت فترة مددت فيها ساقى ،وغادرنى الاحساس بالبرد وأعقبه شعور لطيف بالدفء . ولعل كلمة « تشميس » أو « اصطلاء » هى أنسب تعبير لحالتى فقد كنت أتشمس بالصقيع . وفى اللحظة التى توقف فيها ارتعاش جسمى بدأت الطبيعة البشرية فى قتال عنيف لتقاوم استمرار التجربة . استيقظت كل غريزتى وكان من الضرورى بذل جهد جبار حتى أستمر . ومضت هذه اللحظة فرضيت عن نفسى فى غبطة لأن تأثير الغريزة زال . وشعرت بأننى وصلت إلى ذروة الحالة التى يصل إليها المسافرون حينما يكرهون على النوم فى الصقيع فى أقسى برودته وهم واثقون انهم لن يستيقظوا أبداً »

« وأدركت تغييراً آخر فى حالتى العقلية العامة ، فإن الخجل الطبيعى من أن شخصاً يشترك فى التجربة سيدخل الغرفة ليجدنى عارياً قد اختفى تماماً . لقد تثير الحياء الطبيعى إلى شىء لا أدرى ما هو . ومن الجلى أن الإنسان يجب أن يكون شديد الحذر من انطلاق العقل . وهذه هى النقطة التى عرفتها فإن أرقى أجزاء الجهاز العصبى المركزى كانت أول ما تعرض للأرهاق حتى زالت موازينها

تأثير الحرارة :

أما ما يحل بالمخ إذا حدث العكس ورفعت درجة الحرارة ، فكان موضوع التجربة التى قام بها هارفى ستون ، وأسفرت عن استرخاء العضلات والنعاس واسترسال العقل فى سبات عميق وما تحولت عنه إلى نوبات اضطراب وقلق

وقد وصف التجربة بقوله « إن قراءة كتاب أو الجلوس فى وضع واحد كانت من الأشياء المرهقة ، وكان البقاء فى وضع مريح يحتاج إلى قوة ارادة ملموسة . كما أن تلمس الراحة استلزم الحركة البطيئة الدائمة لكى يغير الإنسان وضعه »

وتؤثر كمية ثانى أكسيد الكربون التى فى الدم أيضاً على المخ . وقد جرب هالدان وعالمان آخران البقاء لمدة عشرين دقيقة فى جو نسبة ثانى اكسيد الكربون فيه ٧ر٣ فى المائة ، وهى تعد نسبة كبيرة ، فأحسوا بعوارض الإجهاد العقلى . فلم يكن فى وسع هالدان مثلا أن يركز تفكيره أو ينتبه إلى ما يدور حوله من حديث بغير عناء كبير . ولم يستطع قراءة جريدة ويدرك معنى عباراتها . كان تماماً كإنسان أقبل على الفراش بعد أن أمضى أسبوعاً بغير نوم . وكان يحس ذهنه كصفحة بيضاء لا تعى شيئاً مما يدور حوله

يرى كل شىء مزدوجا :

ويحدث أيضاً تفاعل كيميائى معروف بتأثيره السيء على المخ عندما تتمزق احدى الأوعية الدموية . وقد وصف الدكتور لوسيان كلارك ماحدث له فى إحدى هذه الحالات بأنه كان يقاسى من ارتفاع ضغط الدم الذى بلغ ٢٣٠ وهى نسبة كبيرة الارتفاع. وكان يتوقع أن ينفجر أحد الأوعية الدموية فى أى وقت .

وصدقت نبوءته فكتب يقول « فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٤ كنت عائداً بسيارتى من زيارة أحد مرضاى حتى وقفنى ضوء إشارة المرور ، فلما أردت متابعة السير ومدت يدى إلى مفاتيح السيارة رأيت يدين وبدل المفاتيح مفتاحين . وتولانى الاضطراب لمدة ثانية واحدة استعدت بعدها وعيي ، ولكنى أدركت ماحدث ،

من نشيد الحرية

للأستاذ محمود الخفيف

بالشرق غنيت وكم هزنى والهم الأسجاع فيتاربه
تعضنى الأغلال لكننى لا تعرف الأغلالَ أوتاريه
الحاضر المغلوب لم ينسنى روحاً به خالدة أيقظت ،
بعد سبات حالك ، دهره ،
منّى بها رقرقت أشعاريه
والغرب كم فى أفقه كوكب فى ظلمات أطبقت ، أومضا
يرقبه الدجلج إذ يطلب هدى له فى الدهر ممن مضى
لولاهم استوحش إذ يضرب فى فلوات شد ما أوحشت
والعيش داج حوله عابس
والدهر كم من أمل قوضا

كم من أبىّ عاف طعم الحياه ذليلة مذعنة ضارعه
غبية دانت بشرع الطغاه راسفة فى جهلها راكعه
صماء ما إن أسمعتها شكاه خرساء ما أنّت ولا استصرخت
عمياء ترعى الوهم منقادة
بلهاء فى بأسائها رائعة
سقراط كأس الموت فى كفه عن خمرها الشمطاء هل أحجما ؟
أعجله اليأس إلى حتفه فأسلم الروح وما استسلما
مبتسم والموت فى جوفه الظلمة الخرساء فى حفرة ،
أحلى له من باطل غاشم
فى الأرض كم جرعه العلقما
وسيف روما الفاتح القاهر فتى الوغى فارسها قيصر
أرداه من شيعته جازر من دمه جنجره يقطر
يقول هذا غاصب جائر أضله الطغيان عن نهجه
من حوله الحرية استصرخت
ألا فتى ذو نخوة ينصر ؟

فأسرعت إلى البيت قبل أن يستفحل الأمر . وكانت عيناى طول الفترة تريان مختلف ألوان الأضواء . »

« كنت أرى كل شىء مزدوجا ولم أستطع القراءة لأن ارتباط الحروف أو الأرقام ببعضها ببعض لم يرسل أى معنى إلى ذهنى . حتى أدواتى الجراحية التى أستخدمها سنوات طوالا بدت غريبة أمام ناظرى . ومع أنى كنت أعرف طريقها فإنى لم أدرك طريقة استخدامها . وكانت الكتابة نوعا من المستحيلات .

كان من العسير أن أكتب سطراً واحداً فلما وفقت إلى كتابة حرف لم أجد له أى معنى . وفى هذه المرحلة بلغ الاضطراب والارتباك العقلى أشده . ولا ريب أنى فقدت توازنى الجسمانى ؛ فعندما حاولت اجتياز الغرفة تعثرت بعدة أشياء واتجهت رغبتى إلى النوم طول الوقت .

الذكاء ودم المخ :

والتركيب الكيميائى للدم من العوامل الحيوية فى تغذية المخ ونشاطه أو ركوده ، وقد لجأ العلماء فى السنوات الأخيرة إلى عدة وسائل علمية لدراسة كيمياء الدم الذى يغذى المخ بأجراء عملية بذل يحصل بها على الدم من أوعيته قبل المخ وبعده مباشرة .

وقد وصل العالمان ابرهام ميرسون وهالوران إلى نتائج باهرة كشفت كثيراً من أسرار تغذية العقل . فوجدا مثلا أن السكر فى الدم يختفى بعد مروره بالمخ ، أى أنه يتغذى بالسكر ويمتصه ، فإذا زادت كميته أو قلت فى الدم فإن نشاط المخ يختلف أيضاً . وقد لوحظ أن مخ الأصحاء يستهلك مقداراً كبيراً من السكر ؛ فإذا قلت كميته فى الدم انخفض نشاط العقل أيضاً .

وأثبت التركيب المعدنى لدم المخ أهميته البالغة فى تقدير ذكاء الفرد ، فأعطانا مفتاحاً نتلمس به أسرار العقلية البشرية ، فالكالسيوم والفسفور ضروريان لحفظ النشاط العادى لجهاز أنسجة المخ فإذا قلت كميتهما ظهرت عوارض البلادة الذهنية والخمول العقلى ؛ فإذا زادا عن المعقول تجاوز النشاط الذهنى حده العادى وربما بلغ حد الاضطراب مما دفع أطباء الأمراض العقلية إلى استخدامها فى علاج مرضاهم .

وقد لاحظ فترة صغيرة حتى يحتل علم الكيمياء العقلية مكانه إلى جوار علم النفس ويساعد أخصائييه على فهم الطريقة الغامضة التى يعمل بها العقل البشرى الكثير الغموض .

فوزى السنوى

ما عدمت فى دهرها نُصْرَةً وما خبت شعلتها الساطعه
تمثـــلت ثائرة مرة فى الحقل كانت زهرة وادعه
فانقلبت فى حقلها ثورة عذراء فى درع على ضامر
من حولها تحت غبار الوغى
أسنة ملء الفضا لامعه !

عن جانبيها جحفل واثب تلهبه الحرية البـــاسله
ساحرة كل لها خاطب ودونها نارُ وغًى آكله
النار ما إن هابها هائب كيف وهم فى غمرات الردى ،
يرونها إنـــسية بينهم
فى درع (چندرك) لهم ماثلة!

تنقلت فى ظلمات العصور الشعلة الوهاجة العاليه
كم ذائدٍ فى كل عصر جسور فدى لها مهجته الغاليه
هيهات لا يطفىء ما فى الصدور قيد ولا خوف ولا غيـــلة
وكيف تخشى الموت نفس أبت
عيشتها فى ذلة جانيه ؟

من الردى (لوثر) لم يفزع والغيظ نار حوله تضرم
ينزو به الخافق فى الأضلع لو لم يبح أرداه ما يكتم
يكرُّ كرَّ البطل الأروَع بالرأى سوال على خصمه
وخصمه فى الرأى ذاك الذى
يجود بالغفران أو يحرم !

والمارد الجبار فى عصره الساحر المبتسم الناقم
يرتعد الطغيان من ذكره وما له من حربه عاصم
فى نثره الويل وفى شعره (فلتير) والدهر له منصت
ينقل للأجيال آياته
والظلم مستخذ له راغم

كأن فى أضلاعه جمرة بنارها كم مهجة أشعلا
فى كل قلب نافث ثورة ما كلَّ أو أبطأ أو بدلا
هاجر عن أوطانه هجرة نجت من (البستيل) آراءه
واعجباً بالقلم المنتضى
بنيان هذا الحصن كم زلزلا !

وجاءت الرجفة من بعده وجن بركان بهـــا يفهق
وأذهل الطغيان عن عهده فحوله الهول الذى يصعق
والدم موج جد فى مده يخوضه الغادون فى موكب
عروسه الحرية ، ادَّاركت
من حولها ألوية تخفق

زلزلة فى الغرب قد جاوبت أختاً لها فى الأفق النازح
أختـــاً لها نازفة غالبت منذرها بالعاصف الجائح
بالمـــوت إذ أنذرها حاربت فالعيش فى الأغلال موت وما
يخشى الردى إلا الذى يرتضى
قيـــوده فى عيشه الرازح

وهاجـــة شعلتها لاتنى تضيء لا يحبسها حابسُ
من موطن سارت إلى موطن خانقها من موتها يائس
نار سناها ليس فى الأعين ملء أبيّات النفوس السنا
أعظم ما ضوَّأ لألاؤها
والليل مرهوب الدجى عابس

قيثارتى كم بطـــل خالد غير الذى غنيت ضاحى الكفاح
وكم شهيد نازف جاهـــد غاب اسمه وهو وضيء الجراح
وخامل تحت الثرى هامـد كان طليق الروح ذا عزة
لو كشف الدهر مدى عزمه
شدا به العزم وغنى الطماح !

فى الأفق النازح لا تغفـــلى عن كوكب قيثارتى أبلج
عن نور (إبراهام) لا تذهلى فى كل دهر قبـــلة المدلج
الناشىء البـادىء بالمعـول محطم الأغـــلال فى قومه
هـــدية النابة مبعوثها
أندادَه الأمصار لم تخرج

غنى بأبراهـــام واستلهمى رسالة فى عُرمها استشهدا
رســـالة ابن الفطرة اللهم الصارم العزم الوثيق الفدا
الحامل الأعبـــاء لم يسأم والفتنة السوداء من حوله
حتى محا الرقُّ بياض الضحى
وألف الأبيض والأسودا

من بعده الشعلة حارت فما تلوح حتى يحتويها السحاب
ثم توارت بعد حين كما يموت فى الظلمة ومض الشهاب
الأفق الغربى قـــد أظلما لولا مصـــابيح به تورهم ،
باق على الدهر وأسماؤهم
حاضرة ما إن لها من ذهاب

فى الغرب عهد الموقنين انقضى كما انقضى فى الشرق وحى السماء
احتجب النـور الذى أومضا وأعتم الليـــل ومات الرجاء
وا أسفا ! كم أمـــل قوضا وكم تراءى شـــفق كاذب
مخضبٌ مُنكَدِرٌ أفقه
البغى فيه والخنا والدماء

الأدب والفن في أسبوع

قبر الكاظمي :

كان المغفور له الشاعر العربي الكبير السيد عبد المحسن الكاظمي قد أوصى قبل وفاته أن يدفن بأرض مصر وأن لا ينقل رفاته إلى العراق . وتنفيذاً لهذه الوصية قامت الحكومة العراقية من جانبها بتشييد مدفن له في مقبرة الامام الشافعي ، وقد تم بناء هذا المدفن في الأسبوع الماضي على وضع يليق بمكانة الشاعر الكبير وإكرام الحكومة العراقية لذكراه ونقل رفات الشاعر إليه في حفل حضره كثيرون من رجال الأدب وأبناء العروبة .

ولعل من المعروف أن الكاظمي رحمه الله قد نشأ في العراق من أسرة عريقة شريفة ، ولكنه غادرها في صدر شبابه هرباً من العسف والطغيان وجاء إلى مصر فوجد من أريحية بنيها عامة ومن رعاية المغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ما جعله يؤثر الاقامة بها ويتخذ من أهلها أهلا وسكنا. وكانت له رحمة الله عليه صلة وثيقة بالمغفور له الزعيم الوطني الكبير سعد زغلول ، ولما قامت الثورة المصرية وقف الكاظمي ينصرها بشعره ، ويرسل القصائد العامرة في تمجيد سعد والاشادة بزعامته ، وله في ذلك جملة قصائد مطولة سماها بالمعلقات ...

كان الكاظمي مثال الشاعر العربي القديم في صفاء الفطرة وغزارة المادة وحضور البديهة ، وكان يرتجل القصيدة تزيد على المائة بيت دفعة واحدة فتأتي خالية من الحشو والفضول . وكان يترنم في الشعر بنغم يدوي حلو فيهز النفوس هزا ، وقد أخذ حافظ إبراهيم عنه هذه الطريقة فكانت قوام الروعة في إلقائه المعروف ، وعلى الرغم من بداوة الكاظمي في مظهره وفي طريقته فإن أسلوبه كان حلواً سائغاً خالياً من المماظلة والتعقيد ...

حقاً إن الحكومة العراقية قد أكرمت ذكرى هذا الشاعر الكبير بتشييد هذا الضريح ، وبما أغدقته من رعاية لابنته الوحيدة «رباب» وقد كانت (رباب) كل أمل للكاظمي في حياته ، فلعل حكومتنا تقوم من جانبها بإكرام ذكرى شاعر منح

استدبر النور فما استقبلا ... فجراً ولا بارقة أبصرا
يخبط في أوهامه معجلا ... يخطو وما يمشي سوى القهقرى
يعيش عيش الغيلة الأولا ... الناب والظفر تعظيهما ،
أعطية ما إن يرى مبصرٌ
أشقى له منها ولا أخسرا

في شغل أفرله ما يفيق ... معبوده ذو وهج يبرق
النور ما يلقيه هذا البريق ... فليس ومض غيره يعشق
وهو شواظ من عذاب الحريق ... يهوى إلى لألائه دائباً
هذا الفراش المستهام الذي
يجذبه اللمح الذي يحرق !

وألقيت في السجن مكبولة ... حيرى به الحربة الراغمة
معصوبة في القيد مغلولة ... في أسرها جاثية قائمة
موصولة الثورة مذهولة ... تعجب ، من ألبسها غلها
وفيم هذا السجن تلقى به
بعد ضحى رفت به هامه ؟

تصيح بالسجان إني هنا ... فانظر غداً إذ ترجف الراجفة
ما كان هذا السجن لي موطنا ... قد أزفت يا آسري الآزفة
هذا ندائي الخافت استمعنا ... أصغ له ... للريح مجنونة
صافرة من كل صوب ، أتت
تنبيء عما تحشد العاصفة

إني هنا لكنما تجتلي ... روحي في كل عتيٍّ طليق
في البحر .. في البيداء روحي فلا ... توثق أو تخشى ظلاما يحيق
في هزمة الرعد إذا جلجلا ... في السحب السابحة استرسلت
في رعدة الأرض إذا زلزلت
في زفرة البركان عاني الحريق !

روحي في رفرفة الطائر ... وفي تغنيه إذا حلقا
وجذوتي في مهجة الشاعر ... بنارها ضوءاً أو أحرقا
ويحك ! طال الأسر يا آسري ... يا موثق الطين بأغلاله
الروح نور الله ... من غلّها
هيهات يا آسر أن توثقا

مصر قلبه وخصها بشعره، فتجمع كل آثار الكاظمي و اشعاره وتطبعها في ديوان فإن الكاظمي يخلد بشعره أكثر مما يخلد بقبره

برناردشو والجاحظ :

يشتغل الأستاذ أحمد حق نائب مدير مكتب البعثات المصرية في لندن بتلخيص مؤلفات الكاتب الإرلندي المعروف برناردشو وإخراجها في كتاب جامع ، وقد أراد بهذه المناسبة أن يقابل الكاتب الكبير لمباحثه في بعض الآراء ، فكتب إليه برناردشو يعتذر عن المقابلة ويقول له: إن المقابلات أمر خارج عن الموضوع، فإني رجل هرم، وليس في مقدوري استقبال الزائرين . ولا البحث معهم في مؤلفاتي ،وما كتبته قد كتبته ، وأود الآن أن يقرأني الناس لا أن يروني ... »

وقد أذكرني هذا بحادثة مماثلة من كاتب العربية الكبير أبي عثمان الجاحظ ، فقد روى عن أبي طاهر انه قال : صرت إلى الجاحظ ومعي جماعة وقد أسن واعتل في آخر عمره ،وكان يجلس في منظرة له وعنده ابن خاقان جاره ، فقرعنا الباب فلم يفتح لنا ، وأشرف من المنظرة فقال : ألا إني قد حوقلت وحملت رميح أبي سعد[1] فما تصنعون ؟ سلموا سلام الوداع ، فسلمنا وانصرفنا ...

فما أشبه صنيع برناردشو اليوم ، بصنيع الجاحظ بالأمس ، والناس هم الناس في جميع الأزمان والأجيال ...

نشاطنا الثقافي :

يعنى معالي وزير المعارف عبد الرزاق السنهوري باشا برسم الخطة لإصدار سجل ثقافي تتولى إخراجه كل عام إدارة مختصة في وزارة المعارف وتضمنه مظاهر النشاط الثقافي في مصر ليكون تاريخاً لحياتنا الثقافية وما يجد فيها من تطورات واتجاهات ، وما يبدو في مجاليها من جهد وانتاج .

وانها لفكرة طيبة وخطوة موفقة ، لأن إصدار مثل هذا السجل فضلاً عما له من الفائدة التاريخية سيكون حافزاً لشحذ العزائم ، فسيقف الناس فيه على مدى النشاط الفكري ، أي أنه سيكون بمثابة « صحيفة حساب » من الجهد الثقافي في عام ...

وحبذا لو أخذت جميع الهيئات والجماعات الثقافية والعلمية بهذه الفكرة ، فتقصد كل منها إلى وضع سجل سنوي يؤرخ مظاهر إنتاجها ومناحي نشاطها حتى تبرر وجودها أمام الناس ، على أن تتولى الوزارة تنسيق هذه السجلات الخاصة في سجلها العام

الروابط الثقافية بين الأقطار العربية :

تبدي الجامعة العربية نشاطاً ملحوظاً مشكوراً في توثيق عرى الروابط الثقافية بين الأقطار العربية ، وقد أشرنا إلى مظاهر هذا النشاط ومقاصده الطيبة في أعداد «الرسالة» السابقة ، ويسرنا أن نشير اليوم إلى خطوة سديدة خطتها الجامعة في هذا السبيل ، ذلك أنها قررت أخيراً إيفاد أساتذة محاضرين من مصر إلى عواصم الأقطار العربية الأخرى ، واستقدام أساتذة محاضرين من تلك الأقطار إلى مصر وإلى غيرها من الدول العربية لإلقاء محاضرات عامة تقوية للروابط الثقافية بين أقطار العروبة .

وإنها كما قلنا خطوة موفقة تدعو إلى الغبطة والاطمئنان على مستقبل العالم العربي ومستقبل الوحدة العربية ، فإن الوحدة الثقافية في الواقع أساس الوحدة السياسية ، ولن تجتمع كلمة العرب في القصد إلى هدف سياسي واجتماعي موحد إلا إذا تقارب اتجاههم في التفكير وتوحدت وجهتهم في الإدراك العقلي والثقافي ، غير أننا نعود إلى ما سبق أن حذرنا الأمانة العامة للجامعة العربية من الوقوع فيه ، وهو الاقتصار في النهوض بهذه المهمات على الرجال الرسميين والأساتذة الموظفين ، بل يجب أن تجعل ذلك ميداناً مفتوحاً يجري فيه رجال الفكر والثقافة المتحررين من ربقة الرسميات وتقاليد الوظائف لأن التفكير الرسمي أجدب ما يكون في خدمة تلك الاتجاهات والنهوض — كما يجب — بمثل هذه المهمات ...

شاعر ... وطباخ :

قرأت في إحدى الصحف العربية التي تصدر في المهجر الأمريكي نبأ طريفاً تقول فيه : « علمنا أن حضرة الوطني الفاضل الشيخ حسين أبو عزة شاعر الجيل الفذ المشهور نزيل مدينة « جكسنفيل » قد افتتح مطعماً جميلاً في تلك المدينة ، فنرجو الله

(١) أي يتكيء على العصا ساعر .

أن يوفقه فى تجارته وأن يديمه بلبلا غريداً فى حقل الشعر ...

وضحك صاحبي الذى كان يستمع لما أقرأ وقال : أظن أن شعر صاحبنا هذا تفوح منه روائح البهار والتوابل ، وأعتقد أنه مما تشتهيه البطون ... ثم اندفع يعلق على هذا الكلام فقال : لقد كان المرحوم الأستاذ محمد السباعى يقول : لا تقل يانسيم الصبا ويا ريح الغرام ، بل خير لك أن تقول : يا نسيم المطبخ ويا ريح الشواء ، وكان يقول أيضاً : لأجل أن تعيش لا تكن أديباً فحسب ، بل كن أديباً وصانع أحذية أو أديباً وبائع لعب أو أديباً وشيئاً من ذلك ... وتصور أنت أن أديباً من أدبائنا الكبار افتتح مطعماً أو احترف حرفة من هذا القبيل ، إن الناس لا شك كانوا ينظرون إلى هذا على أنه شيء غريب مضحك ...

قلت : أجل . إن هذا قد يبدو لنا أمراً غريباً عجيباً لأننا تعودنا أن ننظر إلى الأدب على أنه حرفة متميزة ، لا يصح أن تقرن بحرفة أخرى ، وأصبحنا ننظر إلى الأديب على أنه إنسان يعيش فى عزلة عن دنيا الناس ، فلا يصح منه ولا يليق به أن يسلك سبيلا فى الحياة من سبل الناس ، وهذا إسراف لامبرر له ، وإجحاف لا إنصاف فيه .

إن الأدب يا صاحبي ليس حرفة فى ذاته ، وإن الأديب إذ يبتذل فنه فى سبيل العيش يكون قد تدلى إلى أسفل ، ونزل به إلى سوق التجارة ، وإنما الأدب إلهام وتضحية كما يقول تولستوى . وقد كان الجاحظ وهو أديب العربية يشتغل فى أول حياته ببيع الخبز والسمك على نهر سيحان ، وكان أبو هلال العسكرى يبيع البز فى الأسواق ، وكان الخبز أرزى يصنع خبز الأرز ، والحسين الجزار يشتغل جزاراً ، وهناك عشرات أمثالهم من الأدباء والشعراء كانوا يعيشون من البيع والشراء فى عروض التجارة ويتجرون فى الأدب ويقولون الشعر ، فليكن يا صاحبي فينا الشاعر الطباخ والأديب الخباز والفنان النجار ، فإن هذا لن يضير الأدباء ولن ينقص من قيمة أدبهم ، وإنما الانحطاط الأدبى أن يجعل الأديب من أدبه مادة تجارة لكسب الرغيف ..

جائزة فؤاد للآداب :

عرف قراء « الرسالة » مما نشرناه فى العدد السابق أن الأستاذ الكبير معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب قد أعلن فى حفلة توزيع الجوائز بالجامعة ان اللجنة لم تستطع إنجاز مهمتها لضيق الوقت ولهذا رأت تأجيل منح الجائزة إلى العام القادم ، ولكن بعض الصحف علقت بكلام كثير فى هذا الشأن وزعمت أن الأدباء الذين تقدموا لنيل الجائزة لم يستحق أحد منهم الفوز بها .

ولما كان صاحب « الرسالة » عضواً فى لجنة الفحص ، فقد سألناه كما سألنا غيره من الأعضاء عن الحقيقة فأكدوا لنا جميعاً ان الحقيقة هى أن وقت اللجنة كان أضيق من أن يتسع للمفاضلة بين ما أرسلته إليها وزارة المعارف وقد بلغ حوالى مائة كتاب فى أغراض مختلفة . وقد رأت اللجنة أن الأفضل أن تمنح الجائزة وقدرها ألف جنيه لتتويج مجموع إنتاج كاتب من الكتاب لا لمكافأة كتاب من الكتب فتكون جائزة مؤادية على غرار جائزة نوبل التى يكافأ بها كاتب أو عالم أو سياسى على مجموع عمله . أما مكافأة الكتاب الواحد فتكفيها الجوائز التى يمنحها سنوياً مجمع فؤاد للغة العربية وهى جوائز تتراوح قيمة كل منها بين المائة جنيه والمائتين واللجنة تسعى لدى وزارة المعارف لتحقيق ذلك .

وهناك ناحية أخرى يجب أن تكون موضع الاعتبار ، وهى فتح الباب للفوز بهذه الجائزة أمام أبناء الأقطار العربية الأخرى ، إذ لا يخفى أن هذا مما يرتفع بقيمة الجائزة ويتمشى مع الرغبة فى توثيق الصلات الثقافية بين الأقطار العربية .

« الجاحظ »

إعلان

تقبل العطاءات بإدارة المخازن والمشتريات بوزارة الزراعة بالدقى لغاية ظهر يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٤٧ عن توريد لحوم لقسمى حدائق الحيوان والأسماك والطب البيطرى . وثمن النسخة من الشروط والمواصفات ٣٠ مليما بخلاف ٣٠ مليما أجرة البريد .

٧١٩٦

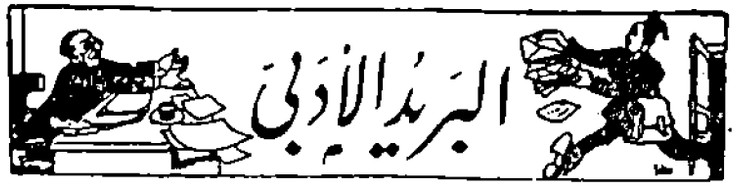

تعليق على تعليق :

هذا كتاب أرسله إلينا الأستاذ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب تعليقا على مقال الأستاذ الطنطاوي المنشور في العدد السابق .

« ... وبعد، فقد نشرت الرسالة في عددها ٧٢٢ كلمة للأستاذ الفاضل علي الطنطاوي بعنوان « تعليق على كتاب ، إلى علماء الشيعة » عرض فيها للخلافات الطائفية بين المسلمين ، وذكر أنها خلافات سياسية كان من الواجب أن تنتهي بانتهاء معاركها السياسية . ويقرر حضرته أن أهل السنة يتمنون أن تطوى الخلافات وينسخ حديثها وتتناسى حتى تنسى ، وعرج على كتاب « تحت راية الحق في الرد على الجزء الأول من كتاب فجر الإسلام » واقتبس منه فقرات تمس أهل السنة ؛ وأظن أن عنوان الكتاب كاف للدلالة على أنه وضع منذ ست عشرة سنة رداً على مطاعن وجهها إلى الشيعة مؤلف فجر الإسلام[1] نفضل ألا نشير إليها حتى لا نثير مسائل نعمل للقضاء عليها . وقد تبين للمؤلف عدم صحتها فحذفها من الطبعة الثانية — ومعنى هذا أن الشيعة لم يعتدوا وإنما دافعوا عن أنفسهم فقط . ولو أن الأستاذ طنطاوي التفت إلى مقدمة الكتاب المذكور للعلامة آل يس الكاظمي وقد كتبه منذ ستة عشر عاماً لوجدفيها ما يصرفه عن تناول هذا الموضوع، ولتأكد أن علماء الشيعة ينفرون مما ينفرمنه، ويدعون لما يدعو إليه ، ويرغبون في التقرب إلى أخوانهم السنيين . ولوجد أن الكاظمي نفسه أخذ على المؤلف إسرافه وأن كان التمس له بعض المعاذير .

وبصفتي عضواً في جماعة التقريب وملما بأحوال النجف وإيران أؤكد أن أحداً من علماء الشيعة لا تسمح له نفسه أن يهاجم المذاهب الأخرى — اللهم إلا أن يكون كاتباً يؤجره المستعمرون — الذين يريدون القضاء على فكرة التقريب بأي ثمن — وليس في علماء الشيعة — والحمد لله — من يغريه المال ...

ولا يفوتني أن أذكر أن ما ينصح به كاتب المقال وراء طريقاً للاتفاق بين الشيعة والسنة هو بعض ما تسعى إليه جماعة التقريب، وفي المادة الثانية من قانونها الأساسي ما يؤيد ذلك ، وأعتقد أن من السهل تحقيقه في زمن قصير لو أعاننا رجال الفكر والعلم والقلم أمثاله .

أما نفقات « دار التقريب » فإن مصدرها تبرعات حضرات أعضاء الجماعة سنيهم قبل شيعيهم وسجلات الدار مفتوحة لكل من يريد الاطلاع .

ومع أني أشكر لأخي الأستاذ طنطاوي حسن ظنه بجماعة التقريب واعتقاده أنها قادرة على رفع الخلافات الطائفية في ثلاثة أشهر — أي من وقت تأسيسها إلى الآن — إلا إني آخذ عليه ما ذكره من أني أقدم لأصدقائنا الكثيرين من فاخر المأكل والمشرب فإني أخاف أن يثوروا جميعاً علينا ، إذ لم يقدم إليهم سوى القهوة أو الشاي .

وأحب أن أقول لحضرته أنه لو عرف حياتي الخاصة في إيران ما حسب أن نزولي بفندق الكونتيننتال فيه شيء من الترف أو الإسراف كما خيل إليه .

محمد تقي القمي
السكرتير العام لجماعة التقريب

(١) الكتاب الذي أهدى إلينا مطبوع في طهران سنة ١٩٤٥ . (علي)

تحقيقات تاريخية :

للدكتور علي إبراهيم حسن جولات في التاريخ الإسلامي كان آخرها « دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص »[1] ، وهو كتاب قيم جدير بمؤلفه ولا تكفي هذه العجالة للإلمام به أو الإشارة إلى قيمته ولكن ورد فيه بالصفحة ٢٩ بعض تعليقات منها ما جاء تحت رقم ٥ « والمعروف أن والد السلطان برقوق كان من فلاحي الدانوب » ولما كان المعروف لدى المعاصرين والمجمع عليه كما جاء في ابن إياس وهو حجة لأنه جركسي الأصل أن السلطان برقوق مؤسس دولة الجراكسة كان من خلاصتهم. وفيه أيضاً : « حضر من بلاد الجراكسة والد الأتابكي برقوق فخرج الناس لملاقاته قاطبة فلاقوه في البكارشة في يوم الثلاثاء ٨ ذي القعدة سنة ٧٨١ » .

(١) مكتبة النهضة المصرية .

وفى وفيات ٧٨٣ « وفيها أنس بن عبد الله الشركسى والد برقوق الملك الظاهر كان كثير البر والشفقة لا يمر أسير مقيد إلا ويطلقه لا سيما إذا رأى الذين يعمرون بالمدرسة التى ابتدأ السلطان بعمارتها ، توفى فى شوال ودفن بتربة يونس ثم نقل إلى المدرسة (يقصد البرقوقية) فدفع ولده الظاهر إلى جلال الدين التبانى ألف مثقال وستمائة ذهباً ليحج عنه ويقال أنه جاوز القسمين » (شذرات الذهب) .

فمن أين جاءت مدام ديفونشير بأن هذا الوالد من فلاحى الدانوب ؟ بينما إسم برقوق من الأسماء التى يحملها الجراكسة إلى الآن وتكتب Birkluk ويحمله ضابط من أصل جركسى وصل إلى رتبة جنرال فى الجيش التركى والتقيت به مراراً مدة خدمتى بالسفارة المصرية ، ولم أتمكن من تحقيق الناحية اللغوية لهذا الإسم ولكنى قرأت فى تعليقات الأمير شكيب أرسلان على ابن خلدون صفحة ١٠٢ » ومن أصناف الترك « الشاروق » أو « الجاروق » وكانوا يسكنون فى مدينة برقوق التى هى اليوم « ماد الباشى » .

وفى الضوء اللامع : برقوق ابن انص الظاهر أبو سعيد الجركسى العثمانى نسبة لجلبه كان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور. وساق كلاماً عن ترجمته حتى قال « وترجم له الفاسى فى مكة وله سيرة طويلة جمعها بعض أهل العصر فى مجلد » .

وفى كشف الظنون أن له سيرة جمعها ابن دقاق ثم العينى وذكره أى برقوق المقريزى فى عقوده وجاء فى خططه صفحة ٣٤١ جزء ٣ أنه أخذ من بلاد الجركس وبيع فى بلاد القرم .

وجاء عنه أنه تعلم الفقه وسائر العلوم الإسلامية حتى إن أستاذه « يلبغا »[1] لقبه بالشيخ . فمن أين أتى ذكر بلاد الدانوب ؟ وهل لدى مدام ديفونشير نص تاريخى يمكن الاستشهاد به ؟

لا يمكن إنكار حقيقة واقعة وهى أن بلاد الدانوب وبعض بلاد البلقان أتى عليها وقت ساد فيه الإسلام ربوعها وذلك قبل آل عثمان وقبل هجمات التتار أى فى أوائل القرن السابع الهجرى. وجاء فى تعليقات الأمير شكيب أن جميع البلاد إلى النصف الأول من القرن السادس عشر للمسيح من شبه جزيرة البلقان وشطوط البحر الأسود إلى الصين ممالك إسلامية متصلة كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .

(١) الأتابكى يلبغا العمرى الناصرى .

وفى نص نقله الشيخ عز الدين عمر بن على بن ابراهيم بن شداد عن الأمير بدر الدين يسرى الشمسى أنه كان رفيق الملك الظاهر بيبرس فى بلاد القفجاق وهى الجزء الشمالى من البحر الأسود فلما زحف التتار من القوقاز عليها كاتب قبائل القفجاق أنس خان ملك الأولاق أن يعبروا نحو صوراق إليه ، والمفهوم أن بلاد الأولاق هى رومانيا الحالية أو الجزء الشمالى منها والتى عرفت فيما بعد بالإفلاق باللغة العثمانية ، كما أن المفهوم أن صوداق تقع فى شبه جزيرة القرم ، وأن الأسماء الروسية والأجنبية مثل سباستيول وغيرها أطلقت حديثاً على بلاد إسلامية بعد ضمها إلى الروسيا .

فهل أخذت مدام ديفونشير أن اسم أنص هو لكل من يسكن أو يأتى من نهر الدانوب ؟ أم كيف تنسب الظاهر برقوق إلى هذه الجهة وتاريخه العائلى معروف بالتفصيل بدليل مجىء والده وأخوته وأخواته وبعض أولادهم واستيطانهم مصر بعد سلطنته ؟ وجميع المصادر المعاصرة تقرر فى كل مرة يحضر فيها واحد منهم أو بعضهم بأن حضورهم من بلاد الجركس وأنهم كانوا مسلمين وماتوا مسلمين .

أحمد رمزى

اقتراح :

يخطب الخطيب فيصفق الناس أو يدعون فيعرف ما يحبون وما يكرهون ، ويغنى المغنى فيهتف السامعون أو يسكتون فيدرك إن كانوا يطربون أو يكتئبون ، وتصدر المجلات ويكتب الكاتبون . فلا يدرون أيرضى القارئون أم يسخطون .

فلماذا لا تسن الرسالة سنة جديدة يعلن بها القراء عما يرضيهم ليصلوا إليه . ويعلم به الكتاب فيكثروا منه ؟ ثم إن الرسالة اليوم على أبواب تطور جديد فى جوهرها ومظهرها . وإصلاح شامل تستكمل به قوتها . وتحتل مكانها فلماذا لا تشرك القراء معها ، (وهى لهم وهم لها) فى وضع منهاج هذا التطور ، ورسم طريق هذا الإصلاح . فتسأل كل قارىء (١) عما يعجبه من الرسالة لتزيده له (٢) وما يكرهه لتخلصه منه (٣) وما يؤمله لتحققه له. وتؤلف لجنة لفحص الأجوبة وترتيبها وإعلان نتيجتها ونشر الجيد المعلل المدلل منها ؟ ما هو رأى الرسالة ؟[1]

على الطنطاوى

(١) « الرسالة » : توافق على هذا الاقتراح .

الله ...

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

هـذا كتاب جليل القدر من ناحيتين : ناحية موضوعه وناحية كاتبه ...

ولست أجد فى وصفه خيراً من أن أقول إنه كتاب عظيم ؛ والحق أن هذا الكتاب لو صدر فى أى لغة لكان بين كتبها من أعلام الكتب ولأثار من اهتمام المفكرين والقراء ما هو خليق بأشباهه من الكتب الفذة ، وإنه ليسرنى فى هـذا المجال الضيق أن أتحدث حديثاً موجزاً عن هذا الكتاب هو أقرب إلى التحية منه إلى النقد .

يحق لكتاب العربية من زمن طويل أن يستبشروا بكل ما يكتب العقاد ، فقد اتفق له من الخواص ما يجعله بغير ريب من مفاخر جيلنا هذا ، بل ومن مفاخر الفكر العربى فى تاريخه كله ، ومن هـذه الخواص أصالة الرأى واتساع أفق الثقافة ، وحدة الذكاء وقوة المنطق ، هذا إلى لغة عجيبة يستشف بها الحجب وينفذ بها إلى الأعماق ، فإذا أضفت إلى هذا براعة أسلوبه وقدرته على التعبير القوى الموجز الذى لا يزيد ولا ينقص عن المعنى ، وذوقه وضلاعته فى اختيار اللفظ المطلوب، تمت لك صورة العقاد الكاتب ، وإنك لتجد هـذه الخواص مجتمعة فى أكمل صورها فى هذا الكتاب الذى أتحدث عنه .

تبقى بعد ذلك صفة هامة من صفات الكتاب ، وهى الإحاطة المدهشة بنواحى الموضوع على دقته وعلى الرغم من تشعب مذاهب القول فيه . والواقع أن كل فصل من فصول هذا الكتاب يصلح موضوعاً لكتاب ، وإنك لتخرج مع هـذا من كل فصل بما تخرج به من كتاب كامل . فالأستاذ المؤلف يعرض ما دار من الآراء حول ما يطرق من الموضوعات ، ولا يكتفى بالعرض بل يأتى بكل ما يرد به على هاتيك الآراء، وهنا تبرز قوة منطقه وسعة أفقه وتمكنه مما يقول ، ولا يسعك إلا الإعجاب العظيم كما أنك تستشعر اللذة التى يبعثها اتساق الفكر وحسن السياق ... ، وتجد ذلك جليا فى فصول الكتاب جميعاً وبخاصة « أصل العقيدة » وفى « براهين وجود الله »

خصصت لقراءة هذا الكتاب زمناً ما ، فما فرغت منه حتى عدت إلى قراءته ، ثم عاودت النظر أكثر من مرة فى بعض فصوله مثل ذلك الفصل الجميل « الوعى الكونى » الذى تتمثل فيه أصالة العقاد ، ومثل « البراهين القرآنية » التى ترينا كيف يغوص العقاد فيخرج بما يطلب من المكنونات والخفايا ...

ولقد قرأت فى الإنجليزية كثيراً من الكتب التى تناولت مثل هذا البحث ، وأشهد فى غير مجانبة للحق أنى ما ظفرت فى أحدها بمثل ما ظفرت به فى هـذا الكتاب من الإلمام والاستيعاب ، وإنى لأعجب كيف يجتمع هذا كله بين دفتى كتاب لا تزيد صفحاته على ثلاثمائة ، ولكنه فن العقاد ...

وبعد فهذا كتاب ينبغى أن يقرأه المؤمن ليزداد إيمانا مع إيمانه ، والحائر ليجد سبيل هدايته ، والمتشكك ليطرح شكه ، والجاحد ليعلم علم اليقين أنه أسرف على نفسه بجحوده ؛ هذا ما تركته فى نفسى قراءة هـذا السفر الجليل ، ولعلى بعد ذلك لم أوف على الغاية مما أحببت أن أقول .

ولا يفوتنى أن أشير إلى شىء آخر راقنى فى الكتاب كله ، ذلك هو منطق ترتيب البحث وتأليف الكتاب ، فأنت تخرج من فصل إلى فصل كما تنتقل من فكرة إلى فكرة لها أوثق الصلة بها ، بحيث لا تستطيع أن تقدم منه فصلا على فصل ، يضاف إلى ذلك أنه ليس بين هذه الفصول المتساوقة ما يشعرك بأن فى هذا الموضع أو ذاك فصلا ناقصاً كان يجب أن يكون ...

بحث الأستاذ فى أصل العقيدة الإلهية وتطورها وتكلم عن الوعى الكونى كتمهيد للبحث فى ذات الله ، وفكرة الوعى الكونى هـذه من أجل وأبرع ما صور العقاد ؛ واستعرض الكاتب بعد ذلك الأديان القديمة فى مصر والهند والصين واليابان

وفارس وبابل واليونان كلا منها فى فصل ، ثم عرض الأديان السماوية قبل الفلسفة وبعدها ؛ وألم إلى التصوف ، وانتهى إلى براهين وجود الله العقلية منها والنقلية ، وختم كتابه الجليل بكلمة فى آراء الفلاسفة المعاصرين وفى العلوم الطبيعية وعلاقتها بالمباحث الإلهية ..

ومن هذا يدرك القارىء كيف كان بناء الكتاب على هذه الصورة من براعة المنطق .

تحيتى للأستاذ الكبير مشفوعة برجائى أن يزيدنا من ذخائره الطيبة الفذة التى نحن أحوج ما نكون إليها ، والتى يحق أن تفخر بها المكتبة العربية .

الخفيف

فى فلسطين العربية

(تأليف الأستاذ محمد يونس الحسينى)

تعتبر فلسطين فى هذه الأيام مشغلة الأذهان فى العالم العربى ، لهذا تتطلع النفوس لمعرفة كل شىء عن تلك البقعة المقدسة التى هى مثار ذلك الخلاف العنيف ، وليس هذا الكتاب فى الواقع إلا تقريراً ضافياً وافياً عن طراز الحياة العربية القائمة فى فلسطين ، وقد قدم المؤلف الفاضل لشرح هذه الحقيقة فى كتابه بمقدمات تاريخية مفيدة عن بيت المقدس وعن فتح العرب لفلسطين وما كان لذلك الفتح من شأن على عهود الدول الاسلامية المختلفة ، ثم انتقل من هذا إلى الحديث المستفيض عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على نهج علمى يعنى بالحقائق و إيراد الأرقام وعقد المقارنات ، ثم شرح الصلة بين هذه النواحى و بين مستوى المعيشة والحياة التى يحياها أبناء فلسطين العرب فى هذه الآونة .

فالمؤلف الفاضل قد سد بكتابه هذا حاجة عند أبناء العروبة وصور لهم ناحية كان من الواجب أن يقفوا عليها ويتفهموها لأنها فى الواقع الأساس لفهم المشكلة الفلسطينية والعمل على إنقاذ ذلك القطر العربى من براثن الاستعمار والطغيان وإنه لعمل يذكر له وطنه ويشكره لسائر أبناء العروبة .

الحكر فى مصر

(تأليف عثمان بك فهمى)

والحكر فى مصر ناحية من النواحى التى تشغل الأذهان فى الدوائر القضائية والحكومية نظراً لكثرة ما يجد فيها من المشكلات ثم ما يكون فى ذلك من اختلاف فى الرأى والتقدير ، وقد عرض المؤلف الفاضل فى كتابه هذا إلى هذه الناحية فتناولها تناول الباحث المحقق والخبير المدقق ، إذ عنى بالحديث عن عقد الحكر وما يحدث من الخلاف فى تطبيقه وأتى فى هذا على وجهات النظر الواردة فى الفقه وفى القانون وفى العدل ، وصحح ما هو شائع فى التطبيق من الأخطاء الشائعة والاعتبارات التى تصطدم بالواقع وفازع وزارة الأوقاف ما تدعيه فى عقد الحكر منذ خمسين عاما وختم بحثه بالمطالبة بإبعاد القضاء عن نظر مسائل الأحكار . وإن هذا الكتاب بموضوعه هذا وبما اشتمل عليه من الدقة والعمق فى البحث يهم رجال الفقه والقانون والمعنيين بمسائل الأحكار بصفة عامة بل انه يعتبر مرجعاً وافياً ومصدراً نافعاً فى الاعتماد عليه .

محمد فهمى عبد اللطيف

عبد المعطى المسيرى
يقدم كتابه الجديد
روح وجسد
مجموعة قصصية جديدة ، صور صادقة لخلجات القلوب ، وهمسات النفوس ، اثنتا عشرة قصة قصيرة تتميز بجمال الأسلوب ، وروائع الوصف ، وعمق التحليل .
طابعها الخاص مكن لها فى الفوز برضاء وإعجاب المستشرقين والهيئات ومحطات الاذاعة العالمية .
أذيعت من محطات : لندن ، والشرق الأدنى ، وفلسطين ، وبيروت ، وأم درمان
يطلب الكتاب من مكتبة « البنا » بدمنهور ومكتبة مصر بالفجالة ومكتبة فكتوريا بالإسكندرية ، والمكاتب الكبرى . الثمن ١٥ قرش

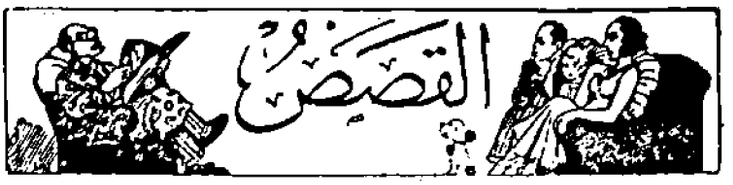

الاختيار الذى كسر قلبى

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

« ماذا يجب أن تعمل المرأة إذا هى ووجهت بهذه المشكلة؟ بل ماذا تستطيع أن تعمل ؟ وهل هناك قانون يحدد الصواب والخطأ تستطيع أن تسترشد به ؟ »

سألتنى صاحبتى ، بعد أن خرجنا من دار السينما على أثر مشاهدتنا الرواية الفوية « أنا كارنينا » :

— كيف استطاعت ذلك ؟ لقد كانت القصة رائعة حقاً وقد مثلت تمثيلا مدهشاً ، ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن أية أمّ يمكن أن تتخلى عن طفلها جرياً وراء رجل ما، بلغ حبها ذلك الرجل ما بلغ من عنف ومن يأس !

فلم أقل شيئاً تعقيباً على كلمات صاحبتى ، ولكن يدى المتباعدتين فى قفازيهما تشنجتا وانطبقت شفتاى انطباقاً محكماً، ومن أين لها أن تتبين ذلك الألم الصامت الذى يمزق صدرى ويلهب رأسى ، فالنساء اللواتى يجتمعن فى الشرق الأقصى ويتحدثن ويثرثرن يصطنعن الصداقة ولكن لأغلبنا أسراراً يحتفظن بها فى أعماق قلوبهن لاتستطيع هذه الصداقة المزعومة أن تفض ختامها .

لقد تزوجت من « رونى كولبرن » لأننى كنت أحب « تيد بورتر » حب جنون ويأس. وليس لهذا التصرف من معنى معقول، على أن أشد من هذا بعداً عن كل معنى معقول أن « تيد » كان يحبنى وكان ، بعد أن تنتهى السنوات الثلاث المفروض عليه أن يقضيها فى الخدمة فيما وراء البحار ، طليقاً من كل قيد يحول دون زواجه منى . ولقد انتظرته سنتين من هذه السنوات الثلاث قضيتهما فى التلهى والتروض مع الشبان الآخرين ، ولكننى احتفظت فى أثنائهما بشفتى وجسمى وقلبى « لتيد » بعد عودته .

لقد كان ذلك أمراً شاقاً على ، بعد أن نعمت سنتين بقرب « تيد » وجسمه وقبلاته وضمات ساعديه ، ولكننى ظننت أننى أستطيع تحمل هذه التجربة القاسية ، لقد كان ذلك واجباً على حتى أكون أهلا « لتيد » فلقد كان يحارب الوحدة وحرارة جوّ الحى ، لا يجد حتى فتاة تواسيه أو شراباً ينعشه ، لقد كان « تيد » قوياً، وكان الرجل الذى لايحب غير امرأة واحدة — وكنت أنا هى تلك المرأة !

كان الله فى عونى ! فلم أكن أرغب فى إنسان غير « تيد » ولكن لم يكن لى مثل قوته . وكان « رونى كولبرن » ، الذى قابلته فى أثناء السنة الأخيرة من افتراقنا — إذ لم يبق غير اثنى عشر شهراً يعود « تيد » فى نهايتها إلى الوطن — كان رونى هذ شديد الإصرار والالحاح. وكان طروباً جذاباً فى أسلوب شيطانى. وقد صمم على أن أكون له . ولعل جريان دمى كان يزداد سرعة كلما دنا موعد رجوع « تيد » لذلك أصبحت لا أملك شعورى كلما لمسنى « رونى » ، وحدث فى ذات ليلة قضيناها فى رقص وبهجة رائعين أن رجانى فى توسل أن أسمح له « بقبلة واحدة » وإذ مال رأسى إلى الوراء شعرت بشفتيه تضغطان شفتى فكأنما كانت هذه القبلة طعاماً قدم لجائع تقتله المسغبة .

ووقفنا هناك متعانقين فى الشرفة وهو لا يفتأ يقول :

— ليس يضيرنا أننا لم يعرف أحدنا الآخر إلا منذ شهر واحد. فهذا هو الحب ياعزيزتى «بام» وستتزوجين منى ... فى الحال.

وحاوبت رغبته اللجوجة ثلاثة أسابيع كنت فى أثنائها أتقى الاجتماع به ما استطعت ، وقلت فى نفسى إننى مجنونة حمقاء . ولكن غيبة « تيد » قد طالت حتى أننى ، ولو حننت إليه وعلى الرغم من كل ما كان بيننا ، لا أستطيع أن أذكر حتى ولا شكل وجهه . أما « رونى » فكان قريباً منى ، وكان شخصاً حقيقياً أراه وألمسه وأشعر بوجوده وهل كان شيئاً غير الحب ذلك الذى سرى فى كيانى سريان الكهرباء عندما ابتسم لى وأمسك بى ؟

وانتصر «رونى» آخر الأمر ، وقضينا إحدى «العطلات» الأسبوعية مختفين عن أعين الناس وتحت تأثير شعور لذّ مبهج مخيف،أقسمت أيماناً لم أقصد إلى الوفاء بها ، وكل ما كنت

أعزى به نفسي فكرة يائسة سخيفة هي أنني إن كنت قد أخطأت فإنني أستطيع أن أسترد حريتي بالطلاق . فكان كل ما حدث حلماً جنونياً مرعباً ، تدرج من دهشة الذين علموا بأمر زواجي ، إلى قضاء شهر العسل في المسكن الذي استأجرناه خصيصاً له ، ثم بخروجنا أمام الناس متأبطين — فكان حلماً خاطفاً غير مكتوب له الدوام .

ولم يكن بد من أن أستيقظ من ذلك الحلم فأدرك أنني قد تزوجت من رجل غريب عني في كل شيء . لقد كان لطيفاً يسر الإنسان أن يكون معه ولكنه لم يكن « تيد » . ولقد كنت كذلك المرأة الوحيدة « لروني » أيضاً ولكن على غير الطريقة العمياء النطوية على الوله والعبادة التي كانت تظهرني في عين « تيد » مثالا لكل شيء جميل .

ولم يلبث « روني » أن نظر إليّ النظرة العادية إلى الشيء المألوف ، لا يقبلني إلا نادراً إن خطرت له فكرة التقبيل على بال ، وكان من النادر أيضاً أن يقول لي إنه يحبني ، ولم يقصد قط النظر إلى ملابسي أو شعري ، ولم يكن ليبدي له من الإعجاب ما تشعر كل فتاة بأنه من حقها الواجب أداؤه لها .

وفي كثير من المرارة والألم ذكرت كيف لم أكن لأبدل ملبساً أو أضع دبوساً في شعري دون أن يهمس « تيد » في دقة «يا للسماء ياحبيبتي كيف تستطيعين أن تنوعي جمالك بهذه الوسائل العديدة ؟ » . وذكرت كيف كان يندر أن يتركني أغيب عن نظره ، وكيف كان دائماً إذا ما اجتمعنا لمس يدي أو شعري أو شفتي ... يا لها من ذكرى ... فأواه يا تيد أواه ...

وبعد أسبوع واحد يصل « تيد » إلى الوطن وسيتجول في الطرقات المألوفة لنا في غير صحبتي وامله يذهب لزيارة أمي ، رافع الرأس متألماً ومتذكراً — كما أتذكرانا هنا في هـــذه البلدة الصغيرة في مقاطعة نور ثمبرلاند التي أخذني روني إليها بعد زواجنا .

لقد كانت الأزمة شديدة لذلك حمد « روني » الله إذ وفق إلى مركز كاتب في أحد الجراجات ، وهو عمل صغير يتقاضى أجراً عليه ثلاثة جنيهات في الأسبوع ، فاستأجرنا لأقامتنا مسكنا رخيصاً وعشنا عيشة رثة . فأين الآن ما كنت أتوقع من حياة ساحرة

لقد أردت أن أعود إلى بيتي إلى أبي وأمي و « تيد » ولكن على الرغم من غضبي مما دفعني إليه روني ومن إهماله إياي بعد ذلك كنت أشفق عليه ، فلقد كان نصيبه من قسوة هذه الحياة مثل نصيبي منها : فمن شجار بيننا إلى حياة الفقر التي تحياها إلى اضطراره للعمل الشاق ساعات طويلة من اليوم . وكنت إذ ذاك كل شيء له في الوجود .

إن الحياة لتر عسير الحل ، فقد كان يجب ألا أتزوج منه ، وكان يجب ألا أستسلم أبداً للشفقة في بقائي معه حتى أصبح من العسير ، على كل حال ، أن أتركه ، لقد كان « تيد » في حاجة إليّ وكان مستعداً لأن يرجعني إليه في الحال ، وقد علمت ذلك من الخطاب العجيب الذي بعث به إلى متحدثاً في موضوع زواجي وفيه يقول : « إن سعادتك هي كل ما أعيش له ، يا « بام » . ولن يحل أحد مكانك من نفسي ، وسأنتظرك إلى الأبد ، فإذا أردتني مرة أخرى أو احتجت إلى ... »

إن أردته ؟ أو احتجت إليه ! إنني لم أكن أشد حاجة إليه مما أنا الآن ، ولكنني لم أكن لأستطيع الذهاب إليه وأنا أحمل جنين « روني » في أحشائي .

لقد فرح « روني » بهذا الخبر ، وقال : « إن هـذا الوليد سيبقينا معاً » تخيل إلى أن هذه الكلمات معناها الحكم بالسجن الأبدي ، فشعرت بما يشبه الجنون ... الأمومة ... الرباط الوثيق ... وحماسة روني الفرحة كل ذلك أثار عوامل غضبي . فقلت :

— وكيف يمكننا حتى أن نكفل هذا الوليد ؟

على أننا قد استطعنا ذلك على صورة ما . وقد أصاب روني في ذلك كما أصاب في قوله إن الوليد سيبقينا معاً — في بيت واحد ، فلقد بقينا معاً بالفعل سنتين على الأقل ، سنتين امتزجت في خلالها الفاقة في حياتنا بنشوة السرور .

لقد أحببت أنا وروني ابنتنا الصغيرة « سو » حباً مفرطاً ، ففي اللحظة التي وضعت فيها هذه الوليدة التي لا يزيد حجمها على حجم القطيطة ، بين ساعدي ، تحللت جميع عوامل البغضاء والغضب التي تملكتني تسعة أشهر طوال إلى شعور فياض بالرقة والمحبة . لقد كان صغر حجمها ! ومعجزة وجودها وجمالها ! كان كل ذلك باعث حب لا يطاوله حب ولا تدانيه أية عاطفة إنسانية . كذلك قبضت « سو » على قلب « روني » بقبضتها الصغيرة ،

فى حين أصبحت ، أنا التى كنت حبيبته من قبل ، ولا صفة لى إلا أننى أم ابنته ولا مهمة لى إلا السهر عليها والعناية بأمرها ، فقد انصرف حبه كله إلى أرجوحتها الصغيرة . فكان ينفق من المال مالا قبل لنا به على ابتياع اللعب والملابس الصغيرة ، وكان فى أغلب الأوقات يجلس فى الظلام إلى جانبها بعد أن تستغرق فى النوم ، وكان يقضى الوقت الطويل فى ملاعبتها معتقداً أنه وحده هو الذى علمها الشى والكلام ، وكان شديد التفاخر بأنها تشبهه بأنفها الشامخ ، وابتسامتها الساحرة ؛ فكانت حسبه من الحياة كلها ، وقد احتلت من نفسه مكمن العواطف والخيال ولم أكن أقل حباً لابنتى من أبيها لها . ولكنه كان حباً من طراز آخر . فلم يبد لى صواب القول بأن ثمرة الحب تضع حداً للاحساسات ، أيا كانت ، التى حملت اثنين على الاقتران أحدهما من الآخر . فقد خيل إلى أنه قد قدر لى أنا وروني أن نعيش متلازمين إلى الأبد ، ولكى أرفه من حياتنا ظننت أنه يجب علينا أن نأخذ بهذه الفكرة ، وأقسم إننى قد حاولت ذلك ، ولكن جمود روني وعدم قابليته لأن يفهم ما أنا محتاجة إليه غير البيت والطفلة والعلم بأنه مخلص لى وفى ، كل ذلك أشعرنى احتقاراً لنفسى حرمنى النوم . فكنت أبكي وأناقش وأتوسل ولكن ذلك كله لم يكن إلا ليزيد العلاقة بيننا سوءاً .

ثم إذا أدركت أن روني لا يستطيع أن يغير ما به اعتزمت أن أكتفى بحب الأمومة . فيجب أن أكتفى بملاحظة « سو » وهى تنمو من طفلة قوية البنية صحيحة الجسم إلى بنية صغيرة مرحة حلوة المحيا ، ولقد علمتها بعض الأغانى والشعر الخفيف ، وكنت أتروح معها كل يوم ماشيتين نجمع فى الشتاء أوراق الشجر الزاهية أو نتزلق على الجليد — وكنت أشعر بالكبرياء تملأ نفسى عندما يتلفت الناس إلينا فيبتسمون معجبين بخطواتها القصيرة السريعة وشعرها الناعم الذى يتلاعب به الهواء وعينيها الجميلتين البراقتين . لقد كانت جميلة حساسة سريعة الحركة بشوشة الوجه شديدة المرح ... لقد كانت ابنتى ... وهى لى وحدى آه يا « سو » ... « سو » عانق أمك يا ابنتى واملأى حياتها الموحشة سعادة وعزاء .

كان حب « سو » يعزينى فى أغلب الأحيان ، ولكنه لم يكن كل العزاء الذى تتعطش نفسى إليه ، فلقد كنت امرأة كما كنت أماً . وكنت لا أزال صغيرة جذابة كمثل ما كنت يوم تركنى « تيد » والآن أريد « سو » وأريد « تيد » ، ولكنى كنت أعلم — كن وقع فى الفخ — أننى لن أستطيع أن أجمع بينهما . فإن روني لن يتخلى عن « سو » أبداً ، ولقد كان ينذرنى بذلك كلما حدثته فى أمر الطلاق فكان يقول : « حسناً يا بام لك أن تطلبى الطلاق إذا كنت غير قادر على إسعادك — ولكنك ان تأخذى سو أبداً » .

ومع ذلك كان تفكيرى فى «تيد» يعذب نفسى ، لقد كنت أحلم به فى الليل وفى النهار . لقد كنت أتساءل : أين هو ؟ وحيثما كنا نذهب — وكنا كثيراً ما نغادر البيت — كنت أبحث عنه بنظارى بين الجماهير ، حائرة ، آملة . يقفز قلبى كلما رأيت رجلا طويل القامة عريض الفك مجعد الشعر — إذ كنت أتخيله « تيد » .

كنت أشعر أننى مندفعة فى طريق الجنون . ولو أننى عرفت على الأقل أخباره وطريق حياته لاطمأنت نفسى وهدأت أعصابى فصممت آخر الأمر على أن أكتب إليه ، معنونة الكتاب بعنوان بيته القديم الذى لا يزال فى رعاية أبويه اللذين لا شك فى أنهما يعرفان مقره الجديد وسيحولان الخطاب إليه .

(لها بقية) عبد الحميد حمدى

إعلان

تشهر وزارة الأوقاف عملية التركيبات الكهربائية بعمارة الشيخ يوسف بشارع القصر العينى بمصر فى الناقصة العامة وتقبل العطاءات بقسم المخازن والمشتريات بالوزارة لغاية ظهر يوم الاثنين الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٤٧ .

ويمكن الحصول على المستندات من خزانة الوزارة نظير مبلغ ٨١٠ مليم .

٨

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الاعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الاعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الاعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة